٦٦

مجلة
روايات أحلام

الوعد الأسمر

www.elromancia.com

مرمورية

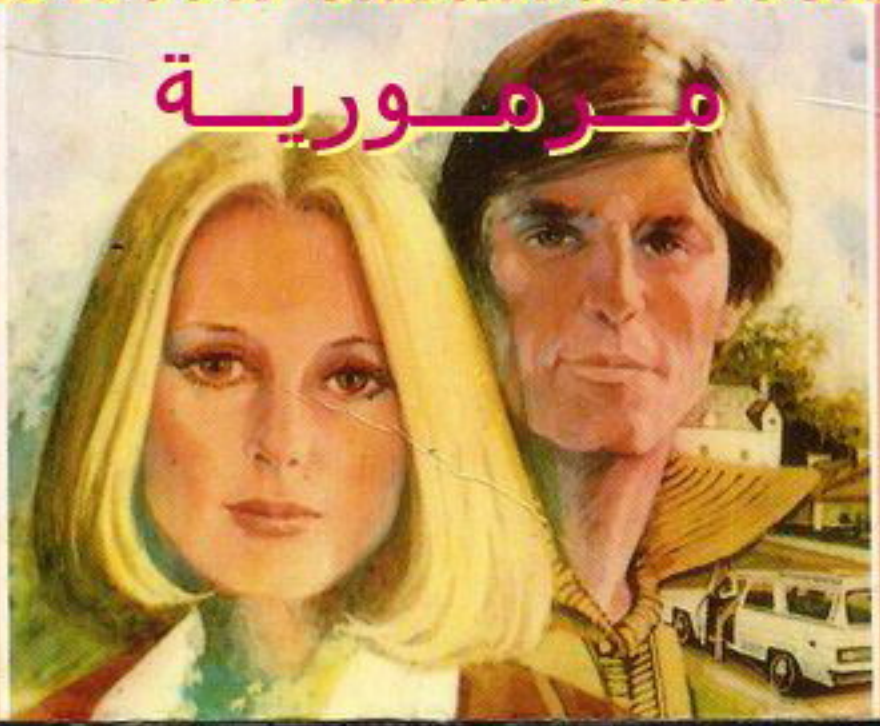

مجلة روايات أحلام

الوعد الأسمر

«. . . لم يكن يظن أنه سيتذكرها إطلاقاً، ورغم ذلك تذكرها حالما شاهد هاتين العينين الرماديتين العميقتين كبحيرة من غموض. . .

هل يعتذر لها عن الطريقة التي صدمها بها منذ عشر سنوات؟ لا شك أنها نسيت الأمر فلماذا يثيره؟ ولكنه كان يعرف أنها لم تنسَ ولم تغفر. . .».

«رغم حفاظها على لامبالاتها شعرت جورجينا بارتون بالصدمة عندما قابلت عيناها نظرته. لم يكن هناك مجال لإنكار جاذبية تاليس واند اللاعب الرياضي المشهور، ولكنها لم تعد تلك المراهقة الحساسة التي كانت يوماً، ولن تدع سحره يؤثر فيها ثانية. . .».

. . . واتخذت جورجينا قراراً سريعاً: لن تستطيع أن تعيش مع هذا الرجل تحت سقف واحد، ولن تقبل أن يعبث بعواطفها، بينما قلبه مع فتاة أخرى. . . يجب أن تتخلص من تاليس واند بأسرع وقت ممكن، ولكن كيف؟. . .

١ ـ خفايا لا تموت

جلست جورجينا متقاطعة الساقين على أرض حجرة جلوسها، يحيط بها كوم من المجلات، المائلة الى الامام بشكل خطر. . . ، أدخلت آخر نسخة من «زاوية الأطفال» داخل غلافها البريدي، ووضعتها بحذر على قمة أقرب كومة مهتزة.

مررت يداً نحيلة في شعر لامع يبلغ حد الكتف، شعر بني توشحه خيوط العسل. وقد بدا من تشعثه قاتماً كثاً مما يشير إلى أن يداً عبثت به عدة مرات هذا الصباح. كانت تعابير وجهها صارمة وعيناها النجلاوان الرماديتان تعكسان قلقاً يخلخل العظام. ثم لم يلبث أن بدأ التعبير القلق بالزوال لتحلّ محله الراحة والرضى ولينطبع الوجه الرصين المتجهم بالفرحة والبهجة اللتين غيرتا كما السحر ملامحها، فإذا هي تتحوّل من معلمة حازمة وقور الى فتاة فاتنة خلابة أصبحت قسمات وجهها حيّة مفعمة بالضحك، تتراقص بسحر فيه قليل من الخبث.

مددت جسدها النحيل، ثم نفضت غبار الورق عن بنطلونها الجينز الازرق البالي ثم وثبت بخفة من سجن المجلات الذي صنعته بنفسها. اندفعت ترقص بمرح على الارضية الخشبية اللماعة كالذهب، واخذت تغني: «انتهى الأمر سنة اخرى. . .

وبقي لنا الصيف الرائع كله».

كان هناك زوج من العيون قابعتان فوق دائرة من الفرو، وتحتهما أنف افطس. أكملت جورجينا بسعادة «أنا وانت في فندقنا الخاص» وانطلقت تتمتع بفكاهتها الخاصة، متجاهلة عيني كلبها اللتين أغمضتا الآن، وكأنهما تعبران عن معاناة تشبه معاناة البشر.

طافت خطوتان أخريان، وكأنها تظهر للكلب من هو «الريس» ثم رمت نفسها على اريكتها المتناثرة الوسائد متنهدة تنهيدة رضى. حركت انفها، ومدت لسانها للمجلات، ثم بدت نادمة وتمتمت: «آسفة».. إنها كالعديد من الناس الذين يعيشون وحدهم تندفع بين الحين والآخر إلى الثرثرة مع نفسها أو إلى مخاطبة أشياء لا حياة فيها، مثل مجلاتها. أردفت تحدثها بوقار: «انتم تكسبونني ما أسدّد به فواتيري.. وتسمحون لي بأن ارتع هانئة في هذا المكان الرائع».

طافت عيناها في الغرفة المرتفعة السقف ذات النوافذ الزجاجية المرتفعة، ثم عادت لمخاطبة المجلات: «في الواقع... أحبك ايضاً.. فعلاً. ولكنني في مثل هذا الوقت من السنة احتاج الى الراحة» تنهدت، شبكت ذراعيها على صدرها، ثم نظرت إلى سقفها المزين بالأجر الغني بالحفر، مفكرة: «في السنة القادمة، سأستأجر شخصاً يهتم بأمر البريد.. سأفعل هذا حقاً».

ابتسمت بخشونة، فعند حلول العدد المقبل في أيلول ستكون مستريحة ونشيطة بعد راحة الصيف بكامله، وستتولى مرة أخرى أمر البريد بنفسها.. انها الآن تكسب مالاً أكثر مما تصورت فلم يكن يبدو لها ان لديها ما يكفي لتغطية جميع مشاريعها. والمال

الذي ادّخرته في السنة المنصرمة بقيامها بأعمال الارسال البريدي بنفسها، سمح لها بأن تحظى بغاز حطبي مجدد، يزين الآن مطبخها.

نظرت ثانية إلى الغرفة، فشعرت بالدفء لصلابتها، وقالت بقلق، لكن بلا أقل ندم حقيقي: «أيها الباهظ الثمن أنت تبتلع مالي بالسرعة التي أكسبه فيها».

ولكن رغم ذلك كانت ابتسامتها ابتسامة رضى واعتداد بالنفس، لأنها تجني المال فعلاً وهو مال يفوق ذاك المال الذي كانت تجنيه من مهنتها في التعليم. إنها سيدة نفسها، تملك بيتها الخاص في الريف وهي في غاية الاستقلالية، وهذا الوضع كان يبعث إليها بهجة مضاعفة والسبب أناساً كثيرين حذّروها من خطوتها البلهاء المتعلقة بزاوية الأطفال.

كانت فكرة مجلة للأطفال، مصدر نجاحها. لقد لاحظت اثناء التدريب للانخراط في سلك التعليم أن العديد من الاولاد موهوبين وجامحي الخيال في الكتابة ومع ذلك لا يشجعهم احد بطريقة جدّية. ربما كانت جورجينا حساسة تجاه هذه المشكلة لأنها صدى لطفولتها.. فموهبتها الخاصة في التعبير عن نفسها بالكلمات لم تكسبها ميدالية، أو صورة في صحيفة كما يحدث لأبطال الرياضة وشهاداتها التي كانت تشير دائماً إلى نجاحها بدرجة جيد جداً، لم تكن تحظى بالإثارة التي كانت تحظى بها مشاجرات اخوتها المتعلقة بشأن الشرائط الحريرية ذات الميداليات اللماعة.

هكذا، ومرة في كل شهر، أبرزت جورجينا أفضل ما يكتبه تلامذة صفها في مجلة انيقة صرفت فيها الجهد والساعات المضنية

والمحببة من العمل. ودفعت كميات متواضعة لطبع المجلة، وأصدرت شيكات بكميات صغيرة للكتاب الصغار، وقامت هي بانتقاء التصميم والتخطيط أما المقالات فكانت من الأولاد إلى الأولاد، وربما لم يكن عجيباً ان يحبها الاولاد... فقد اتسعت المجلة وما هي إلا فترة وجيزة حتى راحت جورجينا تتلقى الطلبات والمشاركات من صفوف أخرى، ثم من مدارس أخرى ومن مكتبات الجمعيات المحلية. ولم تمض غير فترة التدريب في معهد التعليم حتى تكدس البريد امامها، ثم بعد فترة تخرجت من الجامعة وعندها تجرأت على التخلي عن مهنة التدريس في سبيل أن تصبح ناشرة صغيرة.

ومنذ ذاك الحين أبت النظر إلى الوراء. ولكنها ندمت على شيء واحد لأنها بترك التعليم فقدت الصلة بهم، ومن ناحية أخرى تلقت مئات رسائل الحب من متابعي مجلتها المخلصين. كان عملاً شاقاً، مع ذلك كان يأسرها كل الأسر ويكافئها، بحيث أنها نادراً ما ندمت على الوقت والجهد والتضحية التي يتطلبها هذا على حساب حياتها الاجتماعية. إضافة إلى ذلك كانت تأخذ إجازة مدة شهرين في كل صيف، وكذلك «اولادها» وهذا كل ما تحتاجه لتعيد التقاط انفاسها ولكن ما إن يحل شهر أيلول حتى تكون في غاية الشوق للعودة إلى عملها.

بدأت بالعمل منذ ثلاث سنوات وها مجلة «زاوية الأطفال» تتمتع اليوم بلائحة اشتراكات تتجاوز الثلاثة آلاف، كما تتمتع جورجينا بارتون بمنزلها القديم في إحدى ضواحي ريف «بريتش كولومبيا» على شواطىء الهادي في كندا، وبالاستقلال الذي منحها إياه نجاحها. ولكنها كانت تشعر بمتعة عارمة تفوق متعتها

تلك لأنها تشجع المواهب الشابة ولأن مجلتها اصبحت «الرمز» للكتّاب الصغار...

رن جرس الهاتف، فنهرت جورجينا نفسها لأنها كادت تغفو وهي غارقة في تأملاتها. فقد كانت مستيقظة معظم الليل لتحضير آخر نسخة للإرسال في البريد.

ردت على الهاتف بدون حماس وكادت تعجز عن منع التثاؤب:

ـ آلو؟

ـ يا إلهي جورجينا.. كدت أقسم بأنك نائمة... أكنت نائمة؟

ـ مرحباً أمي.

تجاهلت السؤال، ثم ألقت نظرة على كلبها (سنوكل)..

فسألت الأم: «كم الساعة عندكم؟».

تنهدت جورجينا.. فامها تصّر على أن تعتبر أن نصف العالم يفصل بينهما، وهي في الواقع لا تبعد عنها سوى منطقة زمنية واحدة فقط. قالت بصبر، ولو أنها تكرر هذا للمرة الألف:

ـ الفرق بين وقتنا ووقتكم ساعة واحدة يا أمي.

ـ هيه.. إذن ماذا فعلت حتى نمت؟ الناس الاصحّاء المنظمون لا ينامون في مثل هذه... جورجينا... هل انت مريضة؟

سجّل وعي جورجينا رنة الذعر في صوت أمها غير أنها كبحت في الوقت المناسب الرد بأنها في سن تسمح لها بأن تختار لنفسها موعد نومها:

ـ أمي، أنا لست مريضة.. انا بخير تماماً... تأخرت في

النوم فقط بسبب الاصدار الأخير.

- اوه.. المجلة.

كانت تقول كلمة «المجلة» دائماً برنة الألم ذاتها، رنة الاتهام، وكأنها ذلك القاطع الطريق الذي سلبها بدون شفقة أو رحمة ابنتها المحبوبة.

- أمي.. ليتك لا تقلقين علي. الأمر سخيف، أنا في السادسة والعشرين من عمري.

أحست جورجينا بمزيج من السخط والحنان وهما شعوران تحس بهما كلما تحدثت الى أمها، التي ردت:

- بلوغك هذا السن لا ينفعك كثيراً في وحدتك في ذلك المنزل المخيف، ماذا لو أصابك شيء واحتجت إلى مساعدة...

قاطعتها جورجينا تكبح أنفاسها جاهدة:

- لديّ الكلب.

- الحماية الوحيدة الممكنة التي يقدّمها هذا الكلب لك، هي في أن يدوس المتهجم عليه ويقع ليكسر عنقه.

غضت جورجينا النظر عن مهاجمة أمها للكلب لأنها أدركت أن مخاوف أمها الفارغة تتحول الآن إلى مخاوف محددة.. فأمها دون شك تفكر في أن المتهجم بعد دقائق من الحديث سيصبح معتدياً يحمل سكيناً على عنقها وهي تصبح عاجزة، ولا أحد يسمعها على بُعد أميال...

- كيف حال الطقس في «ادمونتون» امي؟

كانت محاولة لتغيير الموضوع... لكن امها ردت بلهجة فظة:

- جورجينا، لا تصرفي اهتمامي عن الموضوع! تعرفين شدة

قلقي عليك بسبب وجودك في ذلك المنزل المخيف وحدك وسأشعر بأنني أفضل حالاً حين تستخدمينه فقط كفندق للنوم والفطور في الواقع..

أغمضت جورجينا عينيها.. إنها تشك في أن الكذبة الصغيرة التي أطلقتها يوماً ستلاحقها طوال ايام حياتها. والداها... عائلتها كلها، بمن فيهم أخويها، عارضوا شرائها المنزل القديم، وكان السبب الاساسي خوفهم على سلامتها لكن السبب الأهم هو أنهم من التقليديين الميسورين الذين لا يوافقون ابداً على ان تعيش امرأة عزباء وحدها خاصة في الريف.

جورجينا تعرف من خلال تجربة طويلة، أن عائلتها لن تتفهم الوضع ولن تتفهم الشعور الهانىء الذي يوفره لها المنزل... ولا الحب من النظرة الأولى الذي أحست به حين شاهدت شكله «الادواردي» وزخرفته الممتدة في سقف الرواق، أو حين رأت النوافذ ذات المصاريع الخشبية التي بدت لها أشبه بعيون دائخة ودود.

وعوضاً عن تكبد مشقة عمل مستحيل في جعلهم يفهمون، أرضت ثورتهم بكذبة متهورة، ولكنها في الواقع لم تكن كذبة لأنها حتى تلك اللحظة، كانت قد فكرت للحظات أنها قد تحوّل المكان الى «نُزل». فالمنزل ضخم وممتد واسع وهو أكبر من أن يسكن فيه شخص واحد وفيما كانت يائسة منهم أقنعت نفسها بأن من الممتع إدارة نزل قديم الطراز على أن يكون عملاً ثانوياً لها.

لكنها لم تخدع نفسها لوقت طويل. فلقد شغفت بمنزلها الجديد، حتى في وضعه المزري، ولم تكن تحس بأي قلق وهي فيه وحدها. فقد كانت تثق بجروها الجديد «البولدوغ»، حتى ولو

نظرت اليه عائلتها باستهجان... والحق أنها شخصية مستقلة لذا لا تتصور نفسها في منزلها مع غرباء لمجرد سلامة مشكوك فيها أو حتى ربح مشكوك فيه أكثر، كما أثبتت لها حساباتها. ومع ذلك، فخرافة تحويل المنزل إلى نزل ظنّت أنها فكرة مفيدة. على أمل أن تبعد عن نفسها تطفل العائلة بقصص عن تفاصيل إصلاحات غير متوقعة تمنعها، حتى الآن، من افتتاح المشروع، ويوماً، سيعتادون على فكرة عيشها وحدها، وستنزوي فكرة ان تصبح جورجينا بارتون مالكة فندق من أذهانهم.

ولكنها أمنية ساذجة، وهذا ما أدركته جورجينا.. فقد مرت سنتان، وأمها ما انفكت تزداد رغبة في رؤية نزلاء يقيمون بسعادة في «نزل» ابنتها.

ـ ماذا قلت أمي؟

كانت الأم تتبع نسقاً أسبوعياً محدداً في كلامها، يسمح لجورجينا أن تصغي بدون اهتمام، هذا اذا أصغت... ولقد وصلت الأم في في هذه اللحظات إلى نقطة القول انها تندب فرص جورجينا في أن تجد لنفسها زوجاً، في منطقة ريفية قفراء من كولومبيا البريطانية، إلا أن جورجينا أدركت فجأة، أن أمها لم تكن تسرد عليها محاضرتها الاسبوعية..

ـ كنت أقول: إنه بحاجة إلى مكان يقيم فيه فوراً...

ـ من هو؟

أجابت الأم وصوتها يضج بالفخر:

ـ أول نزيل عندك... عزيزتي.

كبحت جورجينا ذعرها: «لا!».

ـ لكن لماذا لا؟ قلت لك منذ برهة إنه لا يمانع اذا كان المنزل

غير سوّي تماماً... فهو ببساطة يحتاج إلى مكان بعيد عن الاعين ليختبىء فيه...

كررت جورجينا بحزم: «لا...».

بل لم تنتظر لتسأل إذا ما كان اول نزيل هارب من وجه العدالة ام لا.. يختبىء؟.. أبدت أقل اهتمام قد يشجع أمها لتصل الى نقطة اللارجوع:

ـ ليس لدي غرفة جاهزة.

ـ الغرفة التي اقمت فيها مع والدك في عيد الميلاد رائعة جورجينا، وإن كانت بسيطة، وفي الصيف لن يشكل وضعها مشكلة، أليس كذلك؟

ـ أمي.. سأنهي تحضير الغرفة العليا المثلثة السقف هذا الصيف، وعندها سأضع كل ما فيها من أثاث في الغرفة التي استخدمتها مع ابي.

ـ جورجينا.. هذه ليست مشكلة حقيقية. ضعي ذلك الاثاث المحطم في القبو بالله عليك..

شدت جورجينا قبضتها ثم فتحتها ثلاث مرات في جهد لتسيطر على أعصابها... إنها في الواقع لم تكن معجبة بالسرير المصنوع من خشب السنديان الذي يناهز عمره المئة سنة، ولا بالخزانة المماثلة له، التي لم تكن مخدوشة البتة خاصة وأنها طليت منذ أقل من ثلاث سنوات.

ـ أمي.. الامر مستحيل بكل بساطة، فبغض النظر عن الغرف. أحتاج الى فترة راحة.. كنت أفكر في السفر هذا الصيف... وانا...

ـ لكنني قلت له إنه قادر على الإقامة عندك...

في صوتها رنة الانتصار، وكأن قولها يسوّي كل شيء..

فسألتها جورجينا ببرود:

- أستميحك عذراً أمي؟

راحت الأم تتملق، وانطلقت تتحدث بسرعة:

- حسناً. لكنه ليس غريباً... فنيوتن يعرفه منذ سنوات، وأظنك تعرفينه أيضاً. أجل فقد سبق أن قابلته! اصطحبه نيوتن الى المنزل مرة في عطلة عيد الفصح.. في السنة التي لعب فيها مع فريق الجامعة في أميركا.

أحست جورجينا برعشة خوف تسري في أوصالها.. وهمست: «من؟».

- تاليس واند.. أتذكرينه عزيزتي؟

- لا أكاد أذكره.

وكانت تكذب فنهرت نفسها مؤنبة.. ما دهاها؟ لقد التقت بتاليس واند لفترة قصيرة منذ سنوات. كانت يومذاك في السادسة عشرة، خرقاء وصبية، وكان هو في الحادية والعشرين وكان الرقم المختار في فريق كرة قدم أميركي. في ذلك اليوم رفض أن تكتب عنه مقالاً لصحيفة المدرسة.. وحتى يومها هذا لا تدري لماذا تحس بعمق الجرح الذي تركه تصرفه ذلك في نفسها. في تلك الأثناء أمضت ثلاثة أيام بالبكاء في غرفتها بسبب رفضه المتعجرف... وهي في ذاك الحين لم تفهم سبب رغبته في عدم الظهور بشكل علني.

تنهدت.. في ذلك الوقت، جعلته سرعته الخيالية، وبراعته البديهية في الملعب في مقدمة الأنباء. وأكثر من مرة صادفت صورته في الصحف والمجلات، وها هي الآن تشك في أنها كانت

على الأرجح ترعى حباً سرياً ساذجاً وتحتضن أمنية متقدة في أن يقع يوماً في حبها بيأس.. ولكن رفضه المؤدب لكتابة مقالة عنه جعل اهتمامها السخيف به يتحول إلى حقد.

ورغم تمكنها من تحليل الموقف الذي جعله يرفض المقابلة منذ عشر سنوات، فإنها لم تستطع إجبار نفسها على مسامحته، ولن تتمكن أبداً. كانت تراقب مستقبله في عالم الكرة وتقدمه بشكل باهر بعين متحاملة غير مكترثة.. وقد قالت مرة وهي تنظر إلى صورة له كانت في إحدى المجلات: أتمنى أن ينشطر سروالك الضيق إلى نصفين حين تنحني في المرة القادمة، أيها النجم المتفوق!

قالت لأمها بخيلاء وعدائية:

- لن يقيم تاليس واند عندي لا هو ولا أحد سواه. أنا لست مستعدة لهذا بعد.

- جورجينا، أنت لست منطقية.. اسمعيني لحظة! شقيقك هنا وهو يريد محادثتك.

- أمي.. أنا لا أريد أن أتحدث إلى.. أوه.. مرحباً نيوتن.

جرى حديث خافت مخنوق في الجهة الأخرى ثم تكلم نيوتن:

- أبعدت أمي لتعدّ لي القهوة.. وأظن أن علينا أن نتحدث على انفراد جورجينا.

ردت بعناد: «الجواب هو «لا»».

- جورجينا.. بدأت أشك في أنك تنوين جعل منزلك نزلاً.

كانت كلماته عذبة حلوة، وكأنها دعوة إلى منحه الثقة للإفضاء له بالحقيقة، وهو أمر أغراها للحظة لكنها عادت تقول

بجفاء:

ـ الرد ما يزال «لا».

ـ لكن ماذا لو أخبرت أمي عن شكي؟

ـ أتهددني!

تصورت أمها وأباها المتقاعد، يصلان إلى عتبة دارها «للعناية بها».. لقد ألمحا إلى خطة مشابهة أثناء زيارتهما الماضية في عيد الميلاد، ولكنها تمكنت من إقناعهما بالعكس بعد اتخاذها عذر تحويل المنزل إلى نزل.

ـ أختي.. إن العيش وحيدة في ذلك المنزل الضخم على بعد ملايين الأميال من المدينة لفكرة غير صائبة.

تمتمت: «لدي كلبي».

ـ أوه..! سخافة! «روفر» يدعى كلب.. أما «سنوكل» فهو.. شيء ما!

ـ قال لي البيطري إنه سيتمكن من حمايتي إن دعت الحاجة.

ـ حبيبتي.. إن وجود الحيوان معك غير كاف، سأشعر بأنني مطمئن بالاً حين يكون معك رجل.

صرخت ساخرة: «حتى وإن كان مقعداً؟».

سرعان ما شعرت بالخجل من نفسها، فأضافت:

ـ أنا آسفة.

الصورة التي شاهدتها في الصحيفة الأسبوع المنصرم قفزت إلى ذهنها.. كان تاليس فيها مسجى على طاولة العلاج ووجهه مبلل بدموع الألم، وكانت عيناه السوداوان اللوزيتان تلمعان غضباً على المصور الذي استطاع التقاط هذا المشهد، حينئذ أحست بالغثيان لأنها تعلم نعم المعرفة بغضبه للظهور العلني ولعل احتلال

صورته وهو متألم صفحات المجلات لأمر عظيم على نفسه وسمعت نفسها تسأل:

ـ ما الذي أصابه بالضبط؟

ـ ألم تشاهدي مباريات البطولة؟

ـ لا.. لم أشاهدها.. لكنها جرت منذ أشهر.

أحست للمرة الثانية بالشفقة على تاليس واند، وهو إحساس لا تريد أن تشعر به..

سألت: «أكانت إصابته سيئة نيوتن؟».

ـ إنه محطم.. أختاه.

أطلق كلماته بتجهم حزين، فأحست بقشعريرة لكنها تعرف أن أخاها لا يتوانى عن استغلال قلبها المرهف.. فهو يعرف أنها غير قادرة على رؤية عصفور مكسور الجناح أو قطة صغيرة بارزة العظام أو جراء مهجورة.

ـ اسمع نيوتن.. آسفة لأنه محطم.. حقاً آسفة.. لكنني لا أهتم كثيراً بالمزاح.. كما أنني لا أحب رؤية من يتألم.. واعلم يا شقيقي أنني لا أعيش في غابات معزولة لئلا أسمع الهمسات التي سيثيرها وجود تاليس عندي فليقض نقاهته في أي مكان يشتهيه قلبه.. ولعل الريفييرا الفرنسية خير مكان في مثل هذا الوقت في السنة.

ـ جورجينا.. هذا ما لم تفهميه بعد.. فالرجل معروف دولياً.. إنه يعتبر نجماً لامعاً حتى ممن لا يحب كرة القدم.. إنه رمز للجاذبية، أو لشيء من هذا القبيل. ورأسه مشغول بأمور كثيرة لذا هو يغنى عن القلق بشأن أن يتعرف إليه أحد ويغنى أيضاً عن تطفل الناس على حياته الخاصة.

سألت بعذوبة:

ـ أتريد لأختك الصغيرة أن تعيش مع رمز الجاذبية؟ بصراحة لقد صدمتني نيوتن.

ـ لكنه ليس كذلك في الحقيقة جورجينا.. إنه شريف، ووقور ومحترم.. رجل عامل صارم. والواقع أن تكتمه يجعل الناس في شوق إلى معرفة المزيد عنه.. وهذا ما يجعل الصحافة دؤوبة في الكشف عن خفايا حياته فهو أعزب وهو يجني مالاً وفيراً، ويبدو شريفاً، مع أن الصحافيين قد يقتلون أنفسهم لإثبات العكس. أتعلمين أن بعضهم حرّض شقراوات مثيرات لاعتراض طريقه، ورمي أذرعهن حوله وتقبيله، لأنهم يعلمون أن صوراً كهذه كفيلة بأن تزيد المبيعات ولكن لم يستطع احد منهم إثبات شيء حقيقي في ما يخصّه.

ردت بعذوبة ساخرة: «يا للرجل المسكين!».

ـ إنه حقاً شخص لطيف جورجينا.

ـ عظيم.. فليقم في منزلك.

ـ منزلي غير صالح أن يكون فندقاً.

ـ لكنني لا أريد نزلاء في منزلي الآن.

ـ وهل تريدين هذا في يوم ما؟

صمتت جورجينا.. فتابع ممازحاً بنغمة تتذكرها منذ الطفولة فهي نغمة تحمل الوعيد في طياتها:

ـ سأخبر أمي.

فكرت بسرعة.. ما الذي يضرها لو سمحت لتاليس بالإقامة عندها لبضعة أيام؟ ابتسمت لنفسها فجأة فهي ستعمل جاهدة لئلا يمكث عندها مدة تزيد عن الأيام. فما عليها إلا أن ترفع أجرة

الغرفة، تقدم الطعام السيء وتسيء خدمات التنظيف، وإذا لزم الأمر، بإمكانها الاتصال بالصحيفة المحلية لتخبرهم بأنه يقيم عندها. وربما تكتب مقالة عنه بنفسها فتكون هذه المقالة تعويضاً عن رفضه الذي كان قبل عشر سنوات..

ضحكت فسألها نيوتن بريبة: «جورجينا؟».

ردت ساخرة:

ـ أنا أبكي.. أعرف تماماً متى أعترف بالهزيمة.

رد برضى الرجل الواثق من نفسه:

ـ عظيم.. سيصل تاليس يوم الاثنين.

ـ الاثنين؟

ـ في الواقع إنه في طريقه إليك.

ـ إنك واثق جداً من نفسك يا أخي الأكبر؟

تشدق متفاخراً:

ـ أوه.. بل أعرف كيف أتدبر أمور النساء.

ـ يا إلهي! كيف تتحملك كريستي؟

سترى إذن كيف تتدبر أمور النساء.. إذا استطاعت لعب أوراقها ببراعة فستكون هي من يضحك أخيراً، وعندها لن تتأثر بمزاج ثقيل غبي يصدر عن أخيها نيوتن أو عن صديقه المتعجرف تاليس واند..

وأكملت بعذوبة: «سأكون بانتظاره مع الفواتير».

قال بقلق: «جورجينا».

ـ يجب أن أذهب الآن.. أخبر أمي أنني أحس بالانفعال لأنني أتوقع وصول أول ضيف.

أصبح في صوته توسل: «جورجينا».

www.elromancia.com

ـ أوه.. ماذا أيضاً يا نيوتن.. إن استخدمت مرة أخرى مسألة النزل لابتزازي، فسأتصل بصحف البلاد جميعها لأخبرهم باسم صاحب القدمين الشهيرتين.

صاح كأنه يصرخ: «جورجي».

ردت تتصنع الضحك.

ـ هه.. هه.. تاليسوس.

وأقفلت السماعة بحزم.

أعادت ترتيب الوسائد على الأريكة، وهي المرة الألف التي تفعل ذلك سعياً إلى الحصول على وضعية مناسبة. كانت كمن تقنع نفسها بعدم اهتمامها البتة بحضور تاليس واند إلى هنا.. تنهدت.. لقد حدد نيوتن يوم الاثنين.. لماذا لم تمارس السيطرة على لسانها اللاذع لتعرف بالتحديد الساعة التي سيصل فيها.

إنها مضطرة الآن للانتظار طوال اليوم. وازدادت كراهية لهذا الأمر لأن عليها ألا تنتظر أو تترقب قدومه. إنها تتصرف وكأنها مبهورة بنجوميته. أحست بالاشمئزاز من نفسها.. لديها شقيقان يلعبان كرة القدم، ولقد ترعرعت وحولها غرور الرياضيين. وطالما هزأت من المعجبين بل من المولعين إلى درجة الهوس بمن يستطيع التقاط كرة أو ركلها إلى خارج الملعب دون فعل أي شيء آخر.

وقد علمتها خبرتها أن الرياضيين أنانيون محبون لذواتهم بشكل مفرط وكان هذا رأيها منذ أن بلغت الثالثة عشرة وذلك بعدما احترف أخوها الرياضة. وكان أخوها لا ينفك عن اصطحاب أصحابه الرياضيين إلى منزله المؤلف من ثلاثة غرف.

ولكنها تذكرت أنها مرة، مرة واحدة شعرت بالانفعال الشديد

بشأن صديق نيوتن الذي أمضى عطلة الأسبوع عندهم.. وذلك الصديق كان تاليس واند. كانت تظن، من خلال صورة أنه مختلف. ظنت أنها لمحت في عينيه البنيتين شفافية عميقة من الأحاسيس، وظنت أنها رأت في استدارة شفته الثابتة العليا قدرة على الضحك.. والأهم من هذا، الضحك على النفس وعلى المجتمع الكروي.

الآن عرفت أن هذا ما تراه النساء فيه، نيوتن مخطىء في عزو جاذبية تاليس الرئيسية إلى تكتمه واستتاره عن الأضواء فالسبب الحقيقي هو النظرة المطلة في عينيه والضحكة الخفيفة المكشوفة للأخطار.. ولكنها تعرف أن هذا غير حقيقي لأنها تلقت صدمة كبيرة عندما أظهر لها تعالياً كبيراً وأنانية مفرطة هي ميزة الرياضيين عادة.

رأت كل شيء بمنظار عقلها فجأة. كان نيوتن وتاليس في غرفة الجلوس، يشاهدان مباراة كرة قدم يبثها التلفزيون في ذلك الحين انتظرت بصبر الفرصة المناسبة لمفاتحته بالحديث. وكانت لها هذه الفرصة فاقتربت بقلب واجف وبراحتين تنضحان عرقاً بارداً وطرحت السؤال:

ـ سيد واند.. تاليس.. هل أستطيع أن أجري مقابلة لصحيفة المدرسة؟

لم تكن تتوقع إطلاقاً الرفض. تصورت نفسها تجلس على الطاولة قبالته متوثبة متهيئة لطرح أسئلة ذكية تؤثر فيه إلى أبعد مدى.. تصورت عيناه تبرقان بالإعجاب والدهشة وتصورت الضحكة ستعلو شفتيه حين يرى سرعة بديهتها بل تصورت تلك اليد السمراء القوية، تمتد من فوق الطاولة لتبعد خصلة من شعرها

عن وجهها الجميل الوضاء.

وعوضاً عن هذا كله رفع بصره إليها بلا اهتمام، وقال بصراحة، إنه لا يجري مقابلات صحفية مع أحد.. ثم عاد لينظر إلى المباراة.. وأكملت ذلها بأن أجهشت باكية وهرعت إلى خارج الغرفة ولاذت في غرفتها حتى انتهت مدة إقامته هناك.

على أي حال جرت مقابلتها القصيرة التي لم تتعدّ ثلاث دقائق منذ زمن بعيد.. ولكنها تعرف، أكثر من أي شخص آخر، أنه بالرغم من عينيه المؤثرتين في النفس والواعدتين بالدفء وبالمرح مجرد رياضي آخر مفعم بالغرور بالنفس.

إذن، لماذا تشعر بهذا الشعور الآن؟ لماذا لا تشعر بأنها مختلفة كثيراً عما كانت عليه وهي فتاة خرقاء في السادسة عشرة؟ أما زالت ترعى، وفي عمق عقلها اللاواعي الرغبة الساذجة الطفولية، في أن يدخل تاليس واند من الباب ليقع بجنون ويأس في حبها؟

نفضت غباراً عن السروال الأزرق الحريري الذي اشترته قبل يومين وكان السروال مع السترة بسيطين ولكنهما مناسبان لناشرة ناجحة لم تترك النجاح يسيطر على تعقلها، كما يحدث للرياضيين الناجحين..

قالت لنفسها: «دافعي الوحيد هو الانتقام».

سيقول لها:

ـ آنسة بارتون.. كدت لا أعرفك!

ثم سيطلق دعوة لها لتنضم إلى عشاء رومانسي يكونان فيه على انفراد في مطعم المدينة. ولكنها سترفع حاجبها باستغراب وتبتسم بلطف قبل أن تقول بلطف فائق:

ـ أنا آسفة.. فلا أخرج مع رياضيين.

ثم ستعود للنظر إلى التلفزيون، بتصرف بارد.

تمتمت ساخطة:

ـ اللعنة.. ليس لدي تلفزيون!

سمعت صوتاً في الخارج لا خطأ فيه. إنه صوت باب سيارة.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ لم تتغيري أبداً

استرقت جورجينا النظر إلى الخارج عبر نوافذ بابها الأمامي البيضاوي.

ربما ليس هو القادم، فتاليس واند بالتأكيد يقود سيارة فيراري أو أحدث موديل في عالم المرسيدس، أو إحدى تلك السيارات التي تحمل اسماً يشبه اسم أنواع السباغيتي.. استطاعت من وراء الستائر أن تعرف أن السيارة «فان». وهذا الفان ليس مما يركبه العابثون من الشبان أي لا يملك نوافذ معتمة وصورة غروب مطلية على جوانبها كذلك. بل الواقع إنها تبدو أشبه بفان السمكري.. إنه رمادي اللون دفاعاته صدئه وفيها كمية مثيرة من الخدوش والاعوجاج كما أن الزجاج الأمامي مشعور.

ومن خلال النافذة لمحت شعره فعرفت أنه هو.. فلا أحد في الدنيا يملك شعراً كهذا: كثيف، بنيّ قاتم يكاد يبدو أسود. في نهاية كل خصلة برّاقة لون فضي غريب، وهذه الظاهرة لم تظهر قط في أية صورة له. إنها تذكر دهشتها حين شاهدته شخصياً للمرة الأولى، وها هي الآن تدهش مرة أخرى. بل أنها سمرت في مكانها من الدهشة بسبب الطريقة التي كانت الشمس والهواء يتلاعبان باللون الفضي.

أجبرت نفسها على الابتعاد عن النافذة، ونهرت نفسها بسبب خيالها الجامح وجلست على الأريكة بهدوء. التقطت مجلة تختص بإصلاح المنازل القديمة، فتحتها لتشغل نفسها بدراسة الصور باهتمام زائف. فجأة قررت أن مجلة عالمية، ستعطي انطباعاً أفضل لما تسعى للظهور فيه. ثم تساءلت بجنون مما إذا كانت قراءة مجلة فكرة صائبة الآن. ربما من الأفضل أن تنزل السلم ركضاً وكأنها قد انتزعت نفسها من مشروع تنفذه؟

تأخرت في تغيير رأيها.. فقد سمعت صوت صرير لوح الخشب المتخلخل في أسفل السلم، فسارعت تنظر بعبوس وبتركيز شديد إلى صفحات المجلة. ولكن شيئاً لم يحدث.. فخاطرت برفع بصرها إلى الباب ووجدته هناك واقفاً. بإمكانها رؤية خياله من التخريم الخشبي. ثم، وبإثارة غاضبة، عرفت أنه يراها.. فهل يتجسس عليها؟ بالله عليه.. لماذا لا يرن الجرس؟ هل تحول إلى عاجز واهن في أواخر أيامه؟

رمت مجلتها بسخط ثم تقدمت إلى الباب.. ولم تزعج نفسها بالتمطي بكسل كما خططت.. وفتحت الباب في الوقت الذي كان يختفي في الممر متجهاً تحت القنطرة المغطاة بالعرائش.

عند سماع صرير الباب أدار رأسه إليها بنظرة عاجلة مختصرة: «مرحباً».

أحست بأن أنفاسها تهدد بهجرها. اللعنة! ليت هذا الرجل لا يشعّ بهذه القوة الفظة التي يلطفها نور يضحك بمرح في أعماق هاتين العينين المائلتين الغريبتين.. كان صوته حتى في كلمة واحدة يزخر بغموض رجولي، يتعدى مرحلة الجاذبية وهذا ما

جعل جورجينا تقشعر كتلميذة التقطت لتوها لمحة لمحبوبها المثالي.

شعرت بالإحباط بسبب ردة فعلها غير السوية ونظرت إلى الحقيبتين الضخمتين، والحقيبة الكبيرة كالصندوق الموضوعة على شرفة بابها.. كم من الوقت يسعى هذا الرجل إلى قضائه هنا؟ سنة؟ كان يعود إليها عبر قنطرة مليئة بدالية غنية بالوريقات، حاملاً ثلاثة حقائب أخرى بين ذراعيه.. أينوي الإقامة مدة سنتين؟.

تخلت عن التركيز على الحقائب، بعد اقتراب ساقيه المديدتين منها. مع أنها كانت تتوقع أن تحس بالإشفاق، إلا أنها ارتاعت حين رأته يعرج بوضوح. كان يجرّ ساقه اليسرى بألم.. ووجدت نفسها تعض شفتها بقسوة محاولة بجهد كبح لسع الدموع في مآقيها. أحست وكأنها تشهد قطعة فنية أصيلة مشوهة.. كانت بغض النظر عن كراهيتها له تعترف بأن طريقته في الحركة في غاية الروعة. وحركته تلك لا تشبه أبداً حركة هذا الصدر المرمي إلى الأمام، إنها حركة رشيقة قوية دافقة كتدفق الماء الصامت فوق الصخور.

أجبرت نفسها على إبعاد نظرتها عن مشيته غير السويّة فهي بديهياً تعرف أنه لن يرحب بشفقتها. وكان أن تركت عينيها بسرعة البرق تطوفان بإعجاب على جسده الذي يملك منظراً قوياً ليّناً، وكأنه جسد منحوت من رخام ومع أن ساقه المصابة تجبره على عدم الرشاقة في الحركة، إلا أن ذلك لا يظهر في عضلات صدره أو ساقيه أو ذراعيه. إن عضلاته قوية، مفتولة دونما تكتل أو لحم زائد أو صلابة. قد تقود ملابس كرة القدم إلى كل أنواع التوقعات

الزائفة، لكنها لاحظت أن كتفيه عريضتان بشكل طبيعي، يضيقان عند معدة مستوية مسطحة وخصر نحيل..

بدا جسمه كله قوياً بشكل طبيعي. كانت تعلم من خلال الخبرة الطويلة عدد الساعات والعمل الشاق الذي يلزم لبناء جسد يبلغ هذا الحد من الروعة والكمال. وللمرة الأولى كانت مستعدة للإعجاب بالنتيجة بدل الكراهية. استمرت عيناها بجولتهما ووجدت أنها تنظر إلى وجهه الذي لا يُوصف أبداً بالجذاب والوسيم بل بالغلاظة.. إنَّ أنفه بارز وملتو كأنه مكسور ولعظام خديه زاوية حادة ولذقنه ارتفاع بارز. إنه وجه عادي يشبه وجوه رعاة البقر أو الحطابين أو البحارة.. لا.. جاذبيته الغامضة تلك تدعو إلى الحيرة أحياناً وهي كامنة في التعابير التي تتراقص على سطح وجهه المشبع بالندبات التي لا تبدو بهذه الكثرة في تكوينه الرائع أو في مظهره. رأت في تلك التعابير وفي هاتين العينين الغارقتين بضوء متغير الألوان مليون وعد...

إن مصدر الأذى الضاحك الذي تلتقطه أحياناً كاميرا التلفزيون وحدها هي تلك القوة الجبارة وتلك الحيوية والرجولة اللتان يفيض تاليس واند بهما عادة. إنَّ كل شيء فيه خاصة عينيه كان مختلفاً ولكن بقي منه لمحة بسيطة عما تذكره.

بدا لها مرهقاً يظلّل الألم عينيه ويحفر الأسى خطوط وجهه، ويخيم على فمه طيف ابتسامة بل رأت في تصلب خطوط فمه المعركة التي يخوضها ليسيطر على ألمه، وظنت أنها رأت صرخة ألم في مكان لا يبعد كثيراً عن السطح.

فجأة وقف أمامها، بعد ما رمى الحقائب بلا اهتمام. رفعت نظرها إليه.. فأعجبها أن تكتشف أنه لم يكن طويلاً بالنسبة للاعب

كرة قدم فطوله على الأرجح يقل عن مئة وثمانين سنتمترا. . وأعجبها هذا، فضخامة لاعبي كرة القدم لم ترق لها قط.

ابتسم لها بوهن:

ـ جورجينا بارتون؟

لم تلامس ابتسامته عينيه المغرورقتين بالألم، ثم أمعن فيها النظر مفكراً وبدون سابق إنذار ازدادت ابتسامته عمقاً، ثم بلغت حدود عينيه. .

أكمل: «لم تتغيري إطلاقاً».

تلاشت كل ذرة إشفاق وكل ذرة حنان شعرت بها عندما رأته يجر ساقه فوق الممر كريشة في مهب الريح. أحست وكأنها عادت ابنة السادسة عشرة. . وكأنما يحاول استغلال فرصة أخرى لتحطيم ثقتها بنفسها. . لكنها تمكنت من الرد ببرود:

ـ ازددت طولاً خمسة سنتمترات وازداد وزني خمسة كيلوات، ولم يعد في وجهي نمش أو بثور أو جسر لأسناني.

أوه. . نعم. . كلما تخلصت من هذا المتأنق الجاهل بسرعة كان هذا أفضل لها! لم تتغير إطلاقاً. . حقاً!

هز تاليس رأسه بوقار ثم راحت عيناه تطوفان على وجهها، وتوقفتا لحظة فخطفتا منها أنفاسها.

رغم حفاظها على لا اكتراثها شعرت بصدمة عميقة عندما قابلت عيناها نظرته الواعدة بخبث. أخفضت نظرها عنه بسرعة، وقد أربكتها الحركة الثائرة في نفسها. حسناً جداً ليس هناك مجال لإنكار جاذبيته الفائقة. ولكنها بكل تأكيد وهي في السادسة والعشرين من العمر تملك سيطرة تفوق تلك التي كانت تملكها قبل عشر سنوات! دعم ارتباكها قرارها بالتخلص منه بأسرع وقت

ممكن. فسألته بصوت عملي:

ـ كم من الوقت ستقيم هنا؟

هز كتفيه:

ـ لماذا لا ننتظر ونرى كيف ستسير الأمور؟

ـ لا بأس.

كانت تعرف مسبقاً كيف ستجري الأمور. . فهو سيرحل بعد أسبوع، وستتمكن من تنفيذ خططها للصيف. .

قادته إلى المنزل. . وما أدهشها أنه وضع الحقائب من يده، ليتلمس بإعجاب الحفر اليدوي الرائع المحفور على الباب الخشبي. وتمتم بإعجاب:

ـ خشب رائع. . إنه من الماهوغوني. . لا يمكن للمرء رؤية الكثير مثله هذه الأيام. . ليس مثله. . ولديك قطع أثرية رائعة هنا كذلك.

ـ شكراً لك.

شاهدت مرة أخرى الإعجاب الدافىء في عينيه، واستطاعت ملاحظة دهشته، الصبيانية تقريباً، وهو يتأمل الحفر اليدوي على الطاولات. ووجدت نفسها تقول:

ـ أحاول أن أجمع قطعاً أثرية أميركية قديمة. . أثاث بسيط، قوى البنية للمستكشفين الأوائل. . لا أصبر على ما هو هش سريع العطب، ولكنني لا أعتبر نفسي هاوية جمع التحف. إنني أهتم بروح المنزل وأنوي الحفاظ عليها.

أحست فجأة بالغباء لأنها تشاركه سرّها. . فقد يرى في قولها اعتذاراً عن بعض القطع الحديثة التي تملكها، وهذا بالتأكيد غير صحيح. . . أو قد يراها مخبولة غريبة الأطوار. . روح المنزل. .

حقاً!

ولكنه نظر إلى ما حوله في غرفة الجلوس وهز رأسه بوقار:

ـ أظنك قمت بعمل رائع.. هذا القسم يشعّ فعلاً بشيء ما من روح المستكشفين الأوائل.. البساطة، والدفء، والقوة.

نسيت أن في مقدمة أولوياتها التخلص منه وفي أسرع وقت.. لأنها وهبته بشكل لا إرادي ابتسامة حقيقية رداً على تقديره للأهداف التي تحاول جاهدة تحقيقها في المنزل.

سألها وكأنه لا يصدق عندما تركز بصره على خزانة من خشب الأرز: «ما هذا؟».

تبعت نظرته نظرتها، ثم ابتسمت لذنب متأرجح داخل الخزانة:

ـ إنه كلبي.. وهو يخاف الناس قليلاً..

نادت الكلب بلطف «سنوكل» فاختفى الذنب، ثم عاد إلى البروز من جديد. بعد ذلك راقبت عينان سوداوان خائفتان تاليس وجورجينا.

سألها تاليس:

ـ وكيف دخل إلى هناك؟

ـ إنه عبقري عندما يريد. وهذا أمر غير دائم عادة.

وضحكت، عند سماع رنين ضحكتها، انفتح باب الخزانة أكثر ليكشف عن بشاعة وجه «سنوكل» البولدوغ.. فقال تاليس:

ـ يا إلهي! إن من يحمل وجهاً كهذا غريب عليه أن يخاف. إنه يشبه الوحش..

خسر تاليس كل تقدير اكتسبه حين أبدى إعجابه بالمنزل والأثاث. لا شك أن ملاحظته التي تتعلق بالمنزل كانت من قبيل

اللياقة لأنه اعتاد أثناء حضور حفلات الكوكتيل أن يبدي استحسانه بشأن ديكور منزل مضيفيه. ولا بد أنه زير نساء ميؤوس منه يعرف بالبديهة كيف يشق الطريق الدافئة إلى عواطف ضحاياه! هه! حسناً.. قد يكون قادراً على لعب دوره مع الشقراوات الباردات اللواتي يحببن لاعبي كرة القدم ولكنه واجه أشياء مختلفة كل الاختلاف هنا!

ردت بحدة، ودفاع بارزين:

ـ سنوكل كلب ممتاز وهو مرح. ولكن من يعطي أحكاماً بناء على الظاهر يفته مثل هذا الواقع.. كما يفوته أشياء أهم في الحياة.

رد بخشونة: «سامحيني..».

ـ هل أرشدك إلى غرفتك؟

ـ تفضلي.

توقفت أمام الدرج، تسأل:

ـ هل سيشكل الدرج عائقاً لك؟

تجهم وجهه: «أنا واثق من أنني سأتدبر أمري».

ـ هناك غرفة في الأسفل هنا يمكننا..

ـ قلت إنني سأتدبر أمري.

ارتدت جورجينا عنه، تدير عينيها بنفاذ صبر. كلما خرج تاليس واند من منزلها في مدة أسرع، كلما كانت حياتها أفضل.. من يحتاج إلى أحمق مفرط الحساسية مغرور هنا؟

لكن، للمرة الثانية تمكن إعجابه بالمنزل من فتنتها.. أهي فتنته؟ أم أنه يحب التحف الأثرية؟

شاهدته يقف في فسحة الدرج قبل أن يتحول إلى الدرجات

بحدة. عندما نظر إلى خارج النافذة شاهدت كتفيه العريضتين ترتفعان ثم تهبطان. أهذه تنهيدة رضى، كتلك التي تنهدتها حينما وقفت للمرة الأولى هنا؟ كانت قد نظرت إلى الخارج إلى ما فوق رؤوس الأشجار فرأت عن بُعد البحيرة تلمع تحت أشعة الشمس في الوادي البعيد، وأحست إحساساً رائعاً بأنها في منزلها وبلادها..

ـ هل هناك غرفة مطلة على هذا المنظر؟

ـ أجل.. غرفتي..

ـ أهناك فرصة للمبادلة؟

ـ لا، ولو مقابل حياتي.

أجال ببصره في ردهة الدرج ثانية ثم اعتلت وجهه ابتسامة صغيرة خبيثة. تلاشى لبرهة الألم والتوتر عن وجهه، وأصبح من اليسير رؤية ما جعل تاليس واند محبوباً من قبل النساء وحلماً لهن.

ـ لدينا ردهة مماثلة في المنزل الذي ترعرعت فيه. لا أحد يعرف كيف تبنى ردهات سلالم كهذه.. أليس كذلك؟ السلالم الآن ضيقة حادة الارتفاع يستخدمون الفسحات فيها باقتصاد للوصول إلى الطابق الأخير، ولكن من دون فعل شيء لتكون رحلتك ممتعة.

حدقت جورجينا إليه. إنها في هذا المنزل منذ سنتين.. وقد زاره والداها وأخواها وزوجتاهما وأولادهم. كما قضى عدة أصدقاء عطلة نهاية الأسبوع هنا.. ولكن لم يُبد أي منهم ذرة إعجاب بمنزلها. كان يعتقد الجميع أنها مجنونة لأنها اشترته وعاشت فيه. ما من أحد أبدى إعجابه بالخشب الماهوغوني أو

بالأفاريز المحفورة، وما مرر أحدهم أصابعه بخفة على الخشب المصقول أو توقف في هذه الفسحة متنهداً برضى.

رفع نظره فجأة فضبطها تحدق إليه. استدارت بسرعة وتابعت ارتقاء السلالم وهي تقول لنفسها ببرود إن من الخطر الشديد أن تشعر بأن بينها وبين تاليس واند شيئاً مشتركاً.. إنها تحس بهذا نحوه والدافع الوحيد هو عزلتها عن الناس، ولقد مضى وقت طويل منذ تحدثت فيه إلى من يحب المنازل القديمة كما تحبها هي.

حسناً.. لا.. هذا غير صحيح تماماً.. فجمعية أصدقاء التاريخ يلتقون بها مرتين في الشهر، وهم يحبون منزلها.. ولكن الأمر مختلف كل الاختلاف عن إبداء نساء تتجاوز أعمارهن الثانية والسبعين الإعجاب به.

وهنا يكمن الخطر.. إنه مخلوق جذاب وهذه نظرة يجب أن تتذكرها وتتذكر أنها تشاركها مع آلاف النساء.. وأن تتذكر أن عنده آلافاً من المعجبات منهن عارضات أزياء ونجمات السينما.. فلماذا يهتم بفتاة غريبة الأطوار قليلاً، مستقلة تماماً، ليست سوى ناشرة مجلة لبعض الوقت، فتاة فضلت العيش بعيداً عن الحياة العصرية التي اختارها لنفسه، فتاة لا تحب كرة القدم كذلك؟

أجل.. الخطر يكمن عندما يباشر تاليس بإغوائها، خاصة وهي تبدو منجذبة إليه بشكل صاعق. وهذا يطابق تماماً ما كانت تشعر به تجاهه وهي في السادسة عشرة.

إن تقدم الإنسان في العمر لا يعني أبداً أن المرء قد يزداد حكمة وتعقلاً. والعيش مع تاليس واند قد يؤدي إلى تحطيم قلبها هذا إن لم تنتبه لنفسها. لذا عليها أن تظل بعيدة عنه والأفضل أن

تلتزم خطتها الأولى القاضية بالتخلص منه في أقرب فرصة وأسرع وقت.

تنهدت.. هل النساء جميعهن حمقاوات مثلها؟ ولكن كيف تشعر بهذا الانجذاب وهي امرأة تمقت النساء اللواتي يقعن في حب الوجه الوسيم والجسد الرائع كما تمقت المتحلقات حول أصحاب الشهرة. إضافة إلى ذلك، تعرف من خلال الخبرة أن جميع الرياضيين مغرورون. إنهم يطلبون من الناس الإعجاب والحب والاهتمام ولكنهم لا يعطون الكثير في المقابل. ولكنها منطقياً تعرف أن لا شيء إطلاقاً مشترك بينها وبين تاليس واند، ومع ذلك تجد نفسها تخطط استراتيجياً لئلا تقع في حبه، بينما هي في الواقع تشك في أن هذا جاء متأخراً.

ـ علام كان هذا؟

انتفضت وحدقت إليه عن غير وعي وكأنه مجرم: «ماذا؟».

ـ تلك التنهيدة القوية.

ـ وهل تنهدت؟

هز رأسه بثبات...

فقالت: «لا شك أنها تثاؤب ليس إلا».

وتثاءبت ثانية، لتظهر له عدم تأثرها بصحبته، ثم أشارت إلى باب غرفته:

ـ هذه لك، أرجو أن تجد فيها كل ما يرضيك.

أحنت رأسها تحييه من باب اللياقة، وأسرعت تتركه.

ـ جورجينا؟

استدارت تنظر إليه: «نعم؟».

ـ ما معناه؟

ـ ماذا؟

ـ اسم جورجينا؟

أرادت أن تركض عبر الممر لتضربه بقبضاتها.. سيكون من العسير عليها أن تبقى غير مكترثة به. لم يكن السؤال يحمل شيئاً خاصاً يغضبها، ولكن شيئاً ما في عينيه كان يحمل تساؤلاً خاصاً.

نظرت إليه بريبة وفكرت في أن عليه ألا يدسّ أنفه الطويل في حياتها لمجرد وجوده معها في منزل واحد. ابتسمت ابتسامة جافة:

ـ آسفة.. فهذه معلومات أعتبرها في غاية السرية.

ـ لكنني سأعرف.

إن بقيت هنا مدة طويلة فقد تعرف...

ارتدت عنه ثانية، ثم ورغم فطنتها ورغم قرارها بألا تشجعه على رفع الكلفة، قالت:

ـ وماذا يعني اسم تاليس؟

رد بتشدق: «سيدتي. أظنه اسماً يونانياً».

علت فمها بسمة على مضض:

ـ سيقدم العشاء في السابعة والطعام سيكون ديكاً رومياً مع توابل.

ـ إنه طعامي المفضل.

تمتمت لنفسها: «سنرى».

لكنها بطريقة ما، لم تكن راضية عن اللعبة التي كانت موشكة على الانخراط فيها، كما خططت أن تفعل.

دخل تاليس إلى الغرفة التي أشارت إليها، ووضع حقائبه وأغلق الباب وراءه.. ثم استلقى فوق السرير، يدلك عن غير

www.elromancia.com

وعي ساقه. لقد أعجبته الغرفة لأنه يستطيع عبر نافذتها النظر إلى الخارج مع أن المنظر لم يكن جميلاً كالمنظر الذي رآه حين نظر من ردهة السلم. شاهد الآن قطيعاً من الماشية السوداء والبيضاء يرعى عند جانب التل الأخضر، كان المنظر بالنسبة له مهدئاً لأعصابه، وأحس في أعماقه بالشوق إلى الهدوء والصمت. توقف عن تدليك ساقه، ووضع ذراعيه خلف رأسه مستلقياً إلى الخلف ناظراً إلى السقف...

أجل.. لديه إحساس بأن هذا المكان هو ما يحتاجه. فهنا لن يزعجه أحد وعليه سيكون هذا المكان الأنسب للعمل.

لاحظ الافريز المحفور بأزهار «التوليب» حول أعلى الجدران، وأخذ يدرسها باهتمام. كان مستعداً للمراهنة على أنها من صنع يدوي.. وفكر.. إن لها طريقة خاصة في انتقاء الأشياء.. طريقة تعجبه.. إن ذوقها يعكس بطريقة مخيفة ذوقه هو في الأشياء.

عبس قليلاً.. جورجينا بارتون.. لم يكن يظن أنه سيتذكرها إطلاقاً، مع ذلك تذكرها. ما إن شاهد العينين الرماديتين الواسعتين حتى تذكرها.. تانك العينان الذابلتان المغريتان الغامزتان الضاحكتان الباكيتان، الحاملتان الكون كله في أعماقهما. كان هذا ما عناه حين قال إنها لم تتغير كثيراً: لقد قصد أن عينيها ما زالتا كما كانتا، بحيرتين رائعتين من الغموض، تذكرهما ما إن ألقى نظرة قصيرة إليهما. تلك النظرة التي صدمته صدمة فائقة جعلته يشيح نظره عنهما إلى التلفزيون... لأنه خاف بطريقة ما أن يضيع وأن يقع في الأسر..

ازداد عبوس تاليس عمقاً. أيجب أن يقول لها إنه آسف لأنه

رفض إجراء مقابلة معها منذ تلك السنوات الطويلة؟ صحيح أن رده لن يختلف، ولكن طريقة قوله لها قد تكون مصقولة أكثر. لقد صدم يومذاك حينما هرعت من الغرفة راكضة، باكية. لقد ظن أنها أكبر سناً وأكثر حكمة مما كانت. واليوم قالت له إنه كان في وجهها نمش وبثور وقوائم أسنان، ولكنه لا يتذكر كل هذا.. وحدهما عيناها اللتان اغرورقتا بالدموع يذكرهما.

كان نيوتن قد صرف النظر عما حدث بتلويح من يده متمتماً: تتصرف جورجينا على هذا النحو أحياناً.

بدا له في لحظة أنه يعرف حياتها كلها ويفهمها، يفهم حساسيتها المفرطة لوجودها بين نجوم مشهورين كما يفهم كيف أن مواهبها الخاصة لا يُسمح لها بالظهور. إنها الصغيرة، والأخيرة بعد أخوين عظيمين مشهورين. ولقد راهن يومذاك أن هذا يؤلمها كما راهن ألا يتفوه بكلمة عما فهمه.

كان قد صعد إلى غرفتها فيما بعد، وقرع الباب برقة. أراد أن يشرح لها سبب رفضه ولكنها لم ترد.. وعندما عادت الذكرى إليه استطاع أن يعرف إلى أي حد كان تصرفه صبيانياً. في الحادية والعشرين لم يكن يفهم كل الأجوبة ولا يملكها. ولأنه فجأة وجد نفسه حائراً في ما سيقوله لها ولأنه خشي أن يسيء أخواها الظن إن وجداه في غرفتها. لم يكرر الطرق على الباب ومنذ ذاك الحين لم يفكر في الأمر ولا فيها، حتى عاد إلى مشاهدتها ثانية منذ ساعة.

أيذكر لها هذا أم لا؟ لا شك أنها نسيت الأمر، على أي حال.. فلماذا يثيره؟ ولكن، بطريقة ما، كان يعرف أنها لم تنس.

أيمكن لحادثة جرت منذ عشر سنوات أن تفسر مزاجها الغريب الذي بدا واضحاً الآن؟ ففي لحظة كانت تبدو دافئة

متحمسة، متشوقة وفي الثانية، متباعدة قلقة، مدافعة.

ابتسم لنفسه فهي ما تزال حساسة.. يا إلهي.. كانت ردة فعلها حين سخر من كلبها ردة من هوجم جسدياً. ولكن لا بأس بردة الفعل تلك فهو يحب الحساسية التي تبدو له ميزة مفقودة في عالمه للأسف.. ولقد سئم أن يصرّ على أسنانه أمام قسوة وعناد وفراغ رؤوس المزيفين في دائرته.

ضحك، ونظر إلى ساعته.. يبدو أنه لن يبتعد عن المتطفلين ورجال الصحافة وقتاً طويلاً إذ لن يتحمل مثل هذا الهروب ومن أجل هذا ليس لديه الوقت الكافي ليحلل شخصية جورجينا، مهما كانت تثير اهتمامه.

فتح إحدى حقائبه على مضض، وأخرج صورة موضوعة في إطار، ونظر إليها مطولاً.. ثم همس أخيراً بصوت ممزق:

ـ اللعنة مارلين.. أظنك طلبت مني الكثير!

وضع الصورة إلى جانب السرير، وتنهد.. فمعدات التمرين ستصل غداً.

* * *

٣ ـ عندما تقتل الابتسامة

كان المطبخ فخر جورجينا ومصدر فرحها.. إنه الجزء الوحيد من المنزل الذي رتبته كما يحلو لها. كانت الغرف الأخرى قد أعدتها بطريقة متقطعة وعلى مراحل، وذلك كلما سمح لها وقتها وحالها. ولكن المطبخ الذي كان في حالة مزرية حين وصلت جعلها تستدعي متعهداً رامية إلى الجحيم المصاريف الزائدة. وكان أن أخرجت كل ما كان في داخله، لتبدأ من الصفر.

وجاءت النتيجة رائعة فقد جمع المطبخ بين سحر الريف وبساطته وبين روعة القرن العشرين ومتطلباته، تسللت أشعة الشمس إلى النوافذ المنزوية قرب طاولة الفطور وتلاعبت على الأرض الآجرية الحمراء.. وكان الآجر الأحمر قد بني من جديد حول الفرن الذي انكشف تحت طبقات من الصخر الزائف والطلاء وأوراق الجدران. وكانت الأواني النحاسية معلقة بمشاجب متدلية من السقف فوق خشبة تقطيع لحم عريضة أثرية، وكان يجمّل سطح الفرن البرّاق وعاء نحاسي عمره ثمانين عاماً.

جلست جورجينا في ركن الفطور، تنظر بقلق من حين إلى آخر إلى باب المطبخ المقفل.. إنها تكره الأبواب المقفلة، ولكنها كانت تسمع تحركات تاليس الذي كان ينقل أغراضه، وهي لا

تريده أن يطل عليها فيجدها غارقة في كتاب عوضاً عن تحضير الديك الرومي الذي وعدته به.

سمعته ينزل الدرج ثانية، فحركت القدر أمامها على الطاولة، وابتسمت من أعماقها.. إنه صوت مؤثر لشخص غارق في الطبخ.. ومن المؤسف ألا تستطيع اختراع الروائح المناسبة! ثم ضحكت ضحكة شيطانية قبل أن تعود إلى قراءة الكتاب.

في السادسة والنصف، انطلق جرس الفرن، فتقدمت إلى البراد لتخرج من الثلاجة قطعتين من الديك الرومي الجاهز فرمتهما في الفرن بلا اكتراث، ثم تمتمت: «مع كل التوابل».. فكرت في إعداد مائدة الطعام بأفضل الأدوات الصينية ولكنها تراجعت، إذ سيبدو ذلك فاضحاً.. وهي تريد أن يفهم تاليس أن الطعام الجاهز هو الوجبة المعتادة في هذا المكان. فإذا كان على معرفة بأمور الصحة فستكفي نظرة واحدة إلى الأطعمة المحفوظة في معلبات في جعله يبدأ بتوضيب حقائبه ثانية.

أحست لهنيهة بالندم. لقد فكرت في الواقع بعد الظهر بالذهاب إلى البلدة لشراء ديك رومي حقيقي.. وهذه رغبة عزتها تماماً إلى اندفاع الأنثى عندها لكسب رضاه.. لكسب الإعجاب الذي تتوق إليه، وقد تصورت، حالمة، هذا الإعجاب في عينيه منذ كانت صغيرة.. وهذا أمر غريب فهي لم تكن بعد قد دخلت في عمر الأنوثة ولم تكن كذلك حبيبة أحد أيضاً، إذن من أين أتى ذلك الشوق إلى رؤية ذلك القول المأثور: قلب الرجل يمرّ عبر معدته.

نزل تاليس إلى المطبخ في تمام السابعة، وحينما رأت عينيه تلمعان وهو ينظر في المطبخ، أحست للمرة الثانية بالندم. ولكنها

سمحت لنفسها بتأمله برهة. كان يبدو أقل تعباً فشعرت بوخز من نوع آخر فقد كان يرتدي قميصاً رياضياً ملوناً يلتف على كتفيه العريضتين، ويشتد فوق خطوط صدره، ومعدته المسطحة... فسارعت تدعوه لتمنع عينيها عن النظر إلى منظره الوسيم الرائع.

ـ اجلس على طاولة الطعام.

قاومت جاهدة لتحافظ على صرامة وجهها فارتدّت عنه وأخرجت الطعام من الفرن ورمته أمامه.. كانت مضطرة للمقاومة بكل ما أوتيت من جهد لئلا تنفجر ضاحكة عندما رأت المشاعر المتلاعبة على وجهه: ففي البدء ظهر على وجهه عدم التصديق ثم الصدمة وبعد ذلك خيبة الأمل، وأخيراً الاشمئزاز.. وعندها لم تعد واثقة إن كانت رغبتها في الضحك تعود إلى فرح حقيقي أم إلى نوبة عصبية سيئة.

أخرجت عشاءها من الفرن، وجلست في مكانها على الطاولة قبالته.. فجأة بدت لها فكرة العشاء في غرفة الطعام أفضل بكثير لأن ذلك كان سيضع مسافة أكبر بينهما كما كان سيوفر لها جواً من الرسميات الباردة، وسيبعدها أذرعاً عن جاذبيته البحتة. تساءلت كيف لها أن تقترح الانتقال إلى هناك دون أن تبدو مخبولة.. إذ كيف لها أن تصرّ على الذهاب إلى غرفة الطعام الرسمية لتناول عشاء جاهز؟ أدركت أن هذا مستحيل، فصبت عينيها على طبقها.. إنه قريب منها بشكل يثير الاضطراب بل هي تكاد تلاحظ الدوائر الذهبية التي تحدق ببؤبؤ عينيه البنيتين. إذا لم تكن حريصة فستلامس ركبتاها ركبتيه.

أرجعت ساقيها بجهد إلى ما تحت كرسيها وتناولت قضمة من العشاء. ثم أجبرت نفسها على القول «رائع» قبل أن تنظر إليه

مبتسمة ابتسام تحد ومرح.

كان الاشمئزاز قد تلاشى عن وجهه، وبدت عيناه تومضان بتسلية مستترة علماً أن قسمات وجهه لم تكن تنم عن شيء. قال لها بسخرية كريهة:

ـ أوه.. إنها المفضلة عندي.. الديك الرومي البلاستيكي مع صلصة التوت البري الاصطناعية.. مستحضر نباتي كامل، بطاطا مهروسة، ومعها حلوى تفاح كالتي تعدّها أمي.. أوه.. ما ألذها! أتمنى أن يكون هناك واحدة أخرى..

وبدأ يقضم وجبته.. فقالت له بحبور:

ـ غداً ستتناول الروستو مع كل التوابل.

تمتم، يعبث بمحتويات طبقه بدون وعي:

ـ أظنني أرى مشكلة صغيرة في هذه الجنة.

أحست مرة أخرى بالندم.. وتحوّل الندم إلى ألم.. هل يظن منزلها حقاً بهذا الكمال ليطلق عليه لفظة الجنة؟.

قاومت مشاعرها برهة. إنها قادرة على إعداد طبق الخضار الذي تشتهر بصنعه في المايكروويف في أقل من عشر دقائق.

رويدك جورجينا.. أنت لا ترحبين به هنا. فلا تبدئي بالندم بسبب نظرة الجوع والحرمان على وجهه.. هيا أكملي اللعبة!

هبت بشكل طبيعي عن الكرسي وهي تأمل أن يكون غارقاً في بؤسه فلا يلاحظ أنها لم تمسّ عشاءها. دست طبقها في المغسلة، وفتحت درجاً قرب البراد تناولت منه علبة سكائر كان قد تركها أحد أفراد جمعية أصدقاء التاريخ في لقائهم الأخير. ثم تنهدت قبل أن تعود إلى الطاولة لتخرج سيكارة وتشعلها.. وكان أن بذلت جهداً لئلا تسعل.. مع أنها شعرت بأن دمها يتراجع حتى

قدميها.

ابتسمت له ابتسامة مهتزة. وسألت:

ـ هل تمانع إن دخنت؟

نظر إليها، ثم مد يده إلى الخلف يفتح النافذة، وقال متجهماً وهو يراقبها بعينين ضيقتين:

ـ إنها رئتيك وحياتك وقلبك، وصحتك.

ردت تدافع عن نفسها: «وهو كذلك منزلي..».

وسحبت نفساً آخر من سيكارتها ثم أطلقت سعلتين قصيرتين لتقول:

ـ سعال المدخنين.

لم يرد، وتابع ينظر إليها نظرة ضيقة أشعرتها بأنها حشرة مثبتة على لوحة أمامه.. أكملت بعناد تدخين السيكارة حتى كادت تحرق أصابعها. وحين أطفأتها أخيراً، سألها ببرود:

ـ لماذا تفعلين هذا كله؟

اتسعت عيناها ببراءة مصطنعة فيما كان قلبها يخفق بشدة.

ـ أفعل ماذا؟

بدا خائب الأمل وهذا ما دفع ذقنها المدبب للشموخ إلى الأعلى. وقال لها:

ـ جورجينا.. لا يمكن أن يكون هذا المطبخ لامرأة تتناول الطعام المحفوظ.

ـ ربما اشتريت المطبخ وهو على هذه الحال.

أملت أن يعوض ارتفاع صوتها عن القناعة المفقودة منه.. لكنه أجاب:

ـ أوه.. لا أعتقد هذا. فأنا أرى بسهولة أين ينتهي المنزل

القديم وأين يبدأ منزل جورجينا الجديد.

تجاهلت احمرار السعادة التي بعثتها إليها ملاحظته، وتابعت تنظر إليه مترقبة.. وأكمل:

- ومن يدخن بصورة مستمرة، لا تفوح منه رائحة أزهار الربيع الندية جورجينا...

لا شك أن سعادتها السخيفة ظهرت على وجنتيها اللتين تضرجتا باحمرار شديد.

- ففي منازل المدخنين عادة رائحة التبغ أما في هذا المنزل فتعبق رائحة الخشب النظيف ورائحة النظافة.

ردت بصوت ضعيف: «أوه».

سألها وعيناه تلمعان بالرضى: «أوه؟».

سألت ساخرة:

- أتخطط إلى الخوض في سلك المباحث الخاصة يوماً؟ أنت في الواقع أذكى من أن تكون لاعب كرة قدم.

راقبت وجهه يتصلب، فتمنت لو تشعر ببعض السعادة.. فبعد هذا كله يستحيل أن يمكث في مكان لا يتلقى فيه إلا الإهانة!

قال لها بصوت يهدئه التوتر:

- أتعلمين.. إذا كان هناك خرافة أكرهها، فهي تلك التي مفادها أن الرياضي عضلات بدون دماغ.. الحقيقة أن معظم الرياضيين بحاجة إلى ما يعكس عنهم التألق السريع، معنوياً وجسدياً.. والواقع كذلك، أن لعبة كرة القدم هي لعبة راقية تحتاج إلى حنكة لا تترك المجال للحماقات. والحقيقة أن كل من شاركته اللعب في كرة القدم يحمل درجة جامعية واحدة على الأقل، وأكثر من واحد فيهم يحمل درجة «دكتور».

- آه.. دكتوراه في شق الطريق الملتوي نحو الهدف.. إن بهذا اللقب رنة سلطة.

- بالله عليك جورجينا.. ليس بين أخويك من هو خفيف العقل! كان يمكن أن أتفهم رأيك لو كنت من الجمهور لا ممن عاش مع الرياضيين.

- أعترف أن عقليهما راجحان.. فقد انطلقا بتلقي العلوم الجامعية بسهولة ويسر، وتخصصا في الرسوم المتحركة لئلا يتعارض ذلك مع سبب وجودهما الأساسي في الجامعة... كرة القدم، العظيمة القدرة.. وما من ذرة من ذكائهما ذهبت إلى شيء آخر، فقد استخدماه لتعلم كل حيلة، وكل خطة قد تكون موجودة في قواعد كرة القدم. ولم يضع أي منهما ذرة من الذكاء أو الطاقة على شيء خارج ذلك العالم الضيق الصغير، فقد قال لي لاري إنه كان يظن أن كلمة «اماديوس» تعني نوعاً من الشراب إلى أن شاهد الفيلم السينمائي. ولم يكن نيوتن يعرف من هو رئيس مقاطعتنا، ولم يهتم بهذا أيضاً.

اتسعت عينا تاليس دهشة بسبب عنف كلامها.. فتمتمت:

- أنا آسفة.. لم أقصد الاسترسال هكذا.. لكنك لمست وتراً حساساً في نفسي.

صفّر بصوت منخفض، ثم قال:

- ما كنت تمزحين عندما قلت ما قلته! أفضي إلي بما تريدين إن كان هذا يريحك.. أعرف أنه ليس من السهل أن ينشأ المرء بين أخوين متفوقين.

أحست بالدموع تخز عينيها فارتاعت. إن في صوته رنة اهتمام إضافة إلى أشياء كثيرة. لقد كانت لئيمة معه قصداً ولكنه

ظلَّ لطيفاً معها. ربما تغير عن ذلك الشاب المتعجرف الذي رفض المقابلة الصحفية منذ عشر سنوات. والأسوأ من هذا ربما كانت هي المخطئة، وأنه لم يكن متعجرفاً قطّ.

ـ اسمع تاليس.. أنا لا ألمح إلى أنني غير فخورة بهما. وأنا أسحب الغمز واللمز الذي وصفت به ذكاءك.. فلننسَ الموضوع كله الآن.. اتفقنا؟

رد بصوت منخفض:

ـ ستفضين إليَّ بسرك يوماً جورجينا.. فمن غير المستحسن إبقاء مثل هذا الألم دفيناً في نفسك.

ـ لا تكن سخيفاً.. فليس هناك ما يقال إلا ما يتعلق بالغيرة التي تنشب بين الأخوة. ثم إن كان هناك شيء ما فلماذا أخبرك به؟ أنت غريب عنا.

كانت تعرف حتى وهي تقول ذلك إن ما نطقت به غير صحيح، فقد أحست إحساساً غريباً بأنها تعرفه منذ زمن بعيد. رد عليها:

ـ يكون أحياناً الشخص الغريب أفضل شخص تفضين إليه بهمومك.

ذكرها تأكيده الحازم بأنه فعلاً غريب عنها بالخطر المقبل الذي يولّده شعورها بأنه قريب منها بطريقة ما، فحولت الحديث بسرعة بعيداً عن الأمور الشخصية.

ـ أعتقد أنك تخصصت في الجامعة بعلم النفس.

ـ أخطأت بل تخصصت بالفيزياء.

عبست، لا تريد إظهار جهلها.

ثم ضحكت:

ـ حسناً.. لقد نلت انتقامك، وأنا أستحقه.

ابتسم لها، فأحست ثانية بالخطر الكامن أمامها في هذا الرجل... لا يحق له أبداً ممارسة ابتسامة قاتلة كهذه أمام امرأة عزباء! كانت ابتسامة واضحة، فيها طفولة ودفء ولكنها تكشف عن سن إضافي قرب الناب وهذا ما زاده جاذبية. فهو الآن يبدو لها شخصية فاتنة تفوق فتنة جميع من يقف أمام عدسة التصوير للقيام بدعاية للسكائر والمشروب.

ربما كان لهذا علاقة بوجود رابطة معجبات به يصل عددها إلى الآلاف.. فليس حوله هالة من البرودة التي لا تمس، جو من التعجرف البارد، وليس في هذا الوجه العادي الجلف دليل على الغرور أو دليل على التحذير «ارفعي يدك.. إلا أن كنت تستطيعين مجاراة المرأة الخارقة في الركض».

لا.. بل في هذا الوجه نوع من المرونة والصدق والحساسية.. تاليس واند، النجم اللامع، يبدو مجرد رجل. إن كل ذرة فيه تدل على أنه رجل بكل ما للكلمة من معنى، فهو سهل المعشر طيب عادي، ولم يكن يبدو وكأنه رجل يحب ذاته.

وهذا بالضبط ما تحبه النساء فيه، فمن اليسير على المرأة الوصول إليه ولكن عليها أن تحذر فلم يحدث أن وصلت إليه امرأة من قبل ولم يحدث أن تزوج أو أعلن خطوبته.. ولو كان في حياته علاقة جادة لتناولتها صفحات المجلات الأولى ولنشرتها.

فكرت مرة أخرى بجهد كيف لها أن تبتعد عن الأمور الشخصية، وفاجأها السؤال التالي الذي انطلق من ثغرها.

ـ لماذا لم تتزوج تاليس؟

ـ صدمتني.. لم يسألني أحد هذا السؤال.

- لا أصدق.

- ولماذا اهتمامك؟ يا إلهي تبدين وأنت تطرحين هذا السؤال كأمي.

ردت ساخرة:

- وكأمي أيضاً. السبب أنني أتصورك بسهولة تحمل طفلاً بين يديك تهدهده...

ها هي تخوض في أمور شخصية بحتة. شعرت بالندم الحقيقي لأنها تطرقت إلى هذا الموضوع.

- جورجينا..! أمامي صورة عامة يجب أن أحميها.

ورغم خفة رده، استطاعت رؤية الأسى يغشى عينيه فكان أن أردفت:

- هاه! أنت لم تفعل ما يوحي إليّ تلك الصورة.

- يصدق معظم الناس أنني شاب عابث.. فلماذا لا تصدقين أنت، جورجينا؟

- لأنك عندها ستحتاج إلى قوة الأسد، واندفاع الفيل، ورشاقة ماعز الجبل، لتعطي المصداقية إلى نصف ما تنسبه الصحافة لك.

ترددت قليلاً، وغادرت الخفة صوتها حين أكملت:

- ربما صدقت هذا يوماً.. لكنني لا أصدقه الآن وأراهن أن جميع من يتكلم معك ولو لخمس دقائق لا يصدق الكثير من الأقاويل الدائرة حولك.

أطبقت يد قوية على يدها تضغط عليها بتودد:

- شكراً لك جورجينا.. فمنذ زمن بعيد لم أسمع كلاماً لطيفاً كهذا.

سحب يده، فأحست بالوحشة لأن يده عندما ضمت يدها كانت في مكانها المناسب.

ثم فجأة اشتعل ضوء إنذار أحمر صغير في رأسها.. خطر! إنه قطعاً ساحر موهوب حتى وإن كان غير عابث:. انهضي واغسلي الصحون، لكنها نظرت حولها، فالعشاء الجاهز لا يترك صحوناً كثيرة. سألت يائسة:

- أتريد قهوة تحملها إلى غرفتك؟

- هل سئمت من صحبتي؟

مد شفته السفلى متظاهراً بالحرد، فصاحت:

- طبعاً لا! لكنني واثقة أن لديك أشياء أهم من تسليتي.

سأل بفرح مبالغ فيه:

- وهل كنت أسليك؟ في الواقع ليس هناك ما هو أمتع من تسلية سيدة جميلة.. لكن، في الغد...

استدارت حينما سمعت رنة القلق الغريبة في صوته. أكمل:

- ... حسناً غداً سيكون الأمر مختلفاً.

مع أن التغيير الذي طرأ على صوته أقلقها، قاومت ليبدو صوتها طبيعياً: «لماذا؟».

- ستنتهي عطلتي.. فغداً تصل معدات التمرين.

- أوه.

كان هذا كل ما استطاعت التفوه به مع أنها في الواقع كانت تتحرق شوقاً لمعرفة سبب الحزن الدفين المتعلق بوصول معداته، وتمنت لو تتوسل إليه لئلا يفعل ما يمكن أن يبعده عنها أو يغيره عن الشخص الذي رأته الليلة.

أرادت أن تسأله ما أهمية هذا، ولكنها كانت تعرف.. السبب

هو كرة القدم.. تنهدت.. لعبة كرة القدم سلبتها دون رحمة أو شفقة من العاطفة والاهتمام طوال حياتها.. فلماذا تستغرب إن سلبتها المزيد؟ خاصة تاليس واند الذي التزامه بكرة القدم التزام مطلق، وهذا ما يجب ألا تنساه أبداً.

سمعته يقول لها رداً على حديثهما السابق:

ـ أتعلمين.. أنا أرغب في أن أتزوج. ولكنني وجدت أن من عدم الإنصاف إلحاق زوجة بكرة القدم. فأنا متزوج من مهنتي ستة أشهر من كل سنة.. وهذا يسلبني طاقتي كلها. ومن غير المنصف ألا أجد ما أهبه لزوجة أو أولاد. أنا في الواقع أحب الأولاد، لكنني لا أريد أن أصبح شخصية مزدوجة بالنسبة لهم. ستة أشهر «الأب الرائع» وفي الستة القادمة الأب البعيد عنهم، وحينما لا أبتعد أكن متعباً ومتألماً، إلى درجة العجز عن اللعب معهم وفي الوقت ذاته سيهتم زملاؤهم بصورة أبيهم أكثر منهم.

هز رأسه:

ـ لا.. أب يحظى بشهرة في الخارج لن يكون مشهوراً بين أفراد عائلته.

رفضت أن تستدير عن المغسلة لتنظر إليه، فقد عرفت أن لونها قد شحب.. أيفعل هذا متعمداً؟ أيحاول التلاعب ليجبرها على البوح بسرّها كما وعد؟ إن زاد الآن على كلامه وجود أخوين حذوا حذو ذلك الأب الذي وصفه، فستستدير لتقذفه بإبريق القهوة! لكنه لم يزد على كلامه شيئاً، فخاطرت باستراق النظر إليه.. هل هو فعلاً غارق في أفكاره المتعلقة بالعائلة؟

سمعته يقول:

ـ أنت تتنهدين كثيراً.

ـ حقاً؟

ـ إما هذا أو أنه الكلب تحت الطاولة.

ـ الكلب في الخزانة في الخارج.

هز رأسه بوقار.. فعلمت أن حساسيتها تجاه الكلام عن سنوكل أصبحت واضحة له.. مع ذلك لم يستطع منع شفتيه من الالتواء.

ـ متى يخرج الكلب من الخزانة؟

ـ ربما حين ترحل أنت. هكذا كان الأمر حين كان والدي هنا، وأخواي أيضاً. إنه يتصرف بهذه الطريقة مع الرجال فقط. يظن البيطري أنه تعرض للتعذيب.

أعتمت نظرة غضب وجه تاليس:

ـ وما نوع ذلك الإنسان الذي يفعل هذا بحيوان عاجز؟

وضعت كوب قهوة أمامه، ونظرت إليه بإمعان:

ـ وما نوع من يفعل هذا بنفسه؟

ـ ماذا تعنين؟

ـ لماذا تحاول العودة إلى كرة القدم تاليس؟ أنت في الواحدة والثلاثين من عمرك. لقد انتهى الأمر. أنت تعذب نفسك.. وتعرف أنك ستصاب بأذى مضاعف وبذلك لن تعود كما كنت قبل الإصابة.. قلت إن الكرة تأخذ منك نصف وقتك في كل عام، فهل تريد وهبها ما تبقى من أيامك؟ أتريد أن تظل متألماً ألماً مبرحاً طوال حياتك؟ هذا ما لا أفهمه.. أنا لا أقول إن لاري ونيوتن راجحا العقل كل الرجاحة ولكنهما على الأقل عرفا متى يتوقفان... سيتقاعد نيوتن الأصغر منك سناً في نهاية هذا الموسم.. ولاري غدا مدرباً منذ سنوات.

صاح بها آمراً:

- لا تقولي هذا.. يقول الجميع إنني لن ألعب ثانية. الأطباء والصحافيون ولكنهم لا يفهمون.. وأنت لا تفهمين أيضاً... يجب عليّ أن ألعب!

وقف على حين غرّة، ناسياً قهوته التي يتصاعد البخار منها، وابتعد وهو يعرج.

حدقت إليه بحزن وعرفت بالبديهة أنها لن ترى تاليس واند مرة أخرى كما كان الليلة وربما لزمن طويل طويل.. فقد بدأ كفاحه وحيداً. إنه ملك للعبة.. قلباً وقالباً، فكراً، وروحاً.. وهي.. يجب ألا تهتم بهذا القدر... لكنها تهتم!

* * *

٤ ـ ما زلنا غرباء

استيقظت جورجينا مرعوبة. جلست في السرير تصغي برعب متزايد إلى الأصوات المتناهية إليها من الطابق السفلي.. هناك رجل يصيح، وكلب يعوي.. وصحون تتحطم. انتقلت عيناها إلى الساعة على معرفتها بالوقت تعطيها فكرة عما يجري.. إنها السادسة صباحاً.. الوقت الوحيد الذي تشاهد فيه عقارب الساعة على السادسة صباحاً، كان حين تصل إلى المنزل صباحاً بعد ليل مضن من العمل. كان الهرج والمرج المجنون المتصاعد من الأسفل يزداد حدة وها قد تعدى الأمر الهرج فالأواني والمقالي تتكسر والخلاطة صياحها مرتفع. سحبت نفساً عميقاً ثم رمت الغطاء عنها وهرعت إلى الأسفل وكأنما السرعة والتصميم يؤكدان لها شجاعتها.

سحبت نفساً عميقاً وثابتاً آخر ثم نظرت من زاوية الممر نحو المطبخ.. كان تاليس واند يقف أمام رف تحضير الطعام يخفق شيئاً في وعاء ضخم، ويجأر بأعلى ما تستطيع رئتاه. لكن، ما أذهلها حقاً، أن سنوكل كان يقف إلى جانبه، ورأسه مضغوط إلى ساق تاليس.. وأنفه مرتفع يعوي وكأنه يغني أما ذنبه الصغير المكتنز فيضرب الأرض مرحاً.

www.elromancia.com

اندفعت جورجينا إلى المطبخ لتقف وراءهما صائحة: «اخرسا، اصمتا».

ضاعت صرختها الأولى بين ضجيج الأصوات، أو أنهما تجاهلاها.. ثم ساد الصمت، وانطفأ الخلاط وتوقف ضرب الخفاقة اليدوية ثم أوقف تاليس مواءه، واستدار سنوكل لينظر إليها مؤنباً، يتهمها بأنها هادمة اللذات..

سألت: «ما الذي يجري هنا؟».

استدار تاليس ضاحكاً ضحكة سرعان ما تلاشت وقال بلهجة مستهجنة:

ـ جورجينا.. أنت لا ترتدين ملابسك!

نظرت إلى التي شيرت الواسع جداً الذي يصل إلى حدود ركبتيها ثم طوت ذراعيها بحزم حول صدرها، ترفض أن يلهيها شيء عما تنويه.

ـ ماذا يجري هنا بحق الله؟

نظر تاليس إليها بحدة:

ـ أحضّر فطوراً بسيطاً جورجينا.

وليثبت ما يقول سارع نحو الفرن، وأخرج بعض الفطائر، ثم عاد إلى رف تحضير الطعام ليصب الخليط من الوعاء إلى مقلاة.

ـ لكن، ما الداعي إلى هذه الأصوات؟

ـ كنت هادئاً حين كنت في الحمام.

وكأنه كان يتوقع التقدير لهذا الجهد.. لكن حين لم يسمع تعليقاً نظر إليها نظرة جريح:

ـ ثم، هذا ليس ضجيجاً، إنه غناء.. على أي حال.. حان وقت استيقاظك، يكاد النهار ينتصف.

صاحت بذعر:

ـ غناء؟ يكاد ينتصف؟

أشاحت بصرها عنه بسرعة فالتقت عيناها بسنوكل. كانت عينا الكلب تلاحقان حركة تاليس كمعجب يلاحق بطله المفضل. فأحست بأنه يخونها، فعبست تحذر الكلب: نحن نحاول الخلاص من الرجل سنوكل، ولا ريب أنه سيشعر بالذنب إن بقيت مختبئاً في الخزانة فينوي الرحيل.

ـ ماذا فعلت بكلبي؟

هز كتفيه:

ـ لا أدري. الكلاب تحبني عادة. الكلاب والأولاد.

ـ خاصة وأنت تحمل لوح شوكولا.. أليس كذلك؟.

لاحظت آثار الشوكولا البنية اللون على فم سنوكل، فابتسم تاليس، بدون أن يُظهر أثراً للخجل. تسارعت دقات قلبها أمام ابتسامته... وأخفضت عينيها عن عينيه، ولكنها بدون قصد وجدت عينيها مسمرتين على عضلاته المفتولة التي تنضح بقوة مكبوتة يمكن أن تتفجر بسرعة لا تصدق فوق أرض الملعب.

استدار قليلاً، فشاهدت الندبة الطويلة التي تمر من جانب إلى آخر من أعلى ساقه، ثم تختفي تحت بنطلونه القصير. الندبة حمراء مشقوقة، لم تبعث إليها الخوف بل إحساساً بالأسى.

أعلنت بجفاء: «سأعود إلى النوم».

أحست بالقلق من المشاعر التي قفزت في داخلها بسبب وجودهما معاً في هذا الصباح.. هزت رأسها بحزن ثم استدارت مبتعدة.

ـ جورجينا...

www.elromancia.com

أحست بيد قوية تستقر بثبات على كتفها، لتديرها بلطف:

ـ شاركيني فطوري.. صحيح أنني أعزب، ولكنني لم أعتد على تناول الفطور بمفردي.

ـ أراهن أنك لست مضطراً لتقلق على هذا الأمر كثيراً.

انتفضت لتحرّر نفسها من يده ولكنها حاولت بعد ذلك تجاهل وخز الدفء الذي ما برح كتفها حتى بعد ابتعاد يده.

ـ سأعزو خبث كلامك إلى استيقاظك في ساعة مبكرة. هيا.. فلنأكل لأنك بعد الطعام لن تشعري بهذا السخط كله.

ـ أنا لست ساخطة! أو جائعة!

كانت رائحة البيض واللحم والفطائر تفوح في المطبخ حولها، لذا كان عسيراً عليها أن تقول كلمة أخرى فرفع يده يلوّح بإصبعه متهماً.

ـ هراء! ما هذه الطريقة لبدء يوم جديد.. أنت لم تكذبي مرة، بل مرتين.

ـ أنت مثير للرعب..

واستسلمت برشاقة ثم اتجهت نحو مائدة الطعام. كان الأمر متناقضاً بالفعل.. غريبان يجلسان في ركن حميم صغير، وهما إلى ذلك يرتديان الثياب الخفيفة لو جاء مراقب فرأى المنظر الحميم لاستنتج دون شك أنهما حبيبان.. فالتعامل يجري بينهما سهلاً بشكل مدهش.

وما أدهشها أكثر، أنها كانت تتمتع بالموقف فهي لا تشعر بالخجل، أو بالقلق، بل لا تشعر بالتشوش الضبابي الصباحي المعتاد.. أحست أنها مستيقظة ونشيطة وراضية بشكل غريب ومطمئنة بمشاركة هذه المناسبة الصغيرة الحميمة مع تاليس.

قررت بسعادة، ربما إدارة فندق ليس بالأمر السيء. وربما أنها على حق، لقد سمحت لنفسها بالعزلة الكاملة كما سمحت لنفسها بالتمتع بمباهج العزلة أكثر بقليل مما يجب.

قال لها: «سأجفف لك الصحون».

ـ لا.. الحق حق. أنت طهوت لذا أغسل أنا الصحون.

وضع يديه خلف رأسه.

ـ كنت آمل أن تقولي هذا.

وللمرة الأولى تحس بأنها غير مستريحة ذلك أن عينيه القاتمتين ما برحتا تلاحقان تحركاتها في المطبخ.

ـ ألديك صديق دائم؟

جعلها سؤاله المفاجيء تستدير إليه بتوتر.

هل سيعتبر نفيها إذناً له للبدء بملاحقتها؟ هل يتطلع إلى العيش في نُزل قديم معزول في الريف، يقيم فيه علاقة عابرة يرميها بسرعة إلى زوايا ذاكرته حالما يبتعد؟ هل شجعته على هذا عندما شاطرته الفطور بطريقة أليفة؟ هل الضحك والحديث الحميم يُفسّر عبثاً أو أكثر من العبث؟

قالت بحدة: «لا».

ـ لبعض الوقت؟

ـ ليس في حياتي رجل منذ زمن طويل.. سنوات.. وفي الواقع أحب هذه الطريقة بالعيش.

ـ لماذا؟

أشعرتها نظرة الذهول على وجهه بأنها جذابة وبأنها امرأة كاملة وهو شعور لم يسبق أن شعرت بمثله وقد جعلتها قدرته على دفع هذا الإحساس إلى داخلها تشعر بالغضب كما جعلتها قدرته

على ممارسة سلطة غريبة عليها تشعر بالغيظ.. فهل تبدو سهلة الانخداع إلى هذه الدرجة؟ هل هي ابنة الأمس؟ هل غمزة أو ضحكة، أو قول «أنت جميلة» هو كل ما يلزمه ليقودها إلى..؟

قالت بحدة:

ـ بصراحة.. لم أقابل حتى الآن فرداً من أبناء جنسك لم يضجرني حتى الموت.

هبَّ عن مقعده في لحظة:

ـ ملاحظة كهذه، قد أفسرها تحدياً..

ليتها تستطيع قراءة ما في عينيه. تمتمت:

ـ لا تكن سخيفاً.. أعني فقط..

ـ ملاحظة كهذه تدفع الرجل إلى أن يبحث عما تعنينه بقولك.

همست بوهن: «صحيح؟».

راحت تتقهقر حتى اصطدم ظهرها بالباب، وعندها طفقت تفتش وراء ظهرها عن المقبض، وكانت عيناها طوال الوقت أسيرتي أعماق عينيه.

أمسك يديها ثم ثبتهما إلى جانبيها ثم لم يلبث أن عقد ذراعيه الفولاذيتين حولها، حيث تركها عاجزة بلا حراك. لم يكن في حركته أية قسوة، أو خشونة، بل صلابة وقوة لا تقاوم.

أمرت نفسها بحزم: قاومي! ولكن الصوت بدا لها آتياً من بعيد وكانت خفقات قلبها تخنقه وكانت حدة أنفاسها وصرخة جائعة في نفسها تصيح بها.

راحت القوة المغناطيسية في عينيه تتلاشى قليلاً، ولكن السبب هو ولادة مشاعر أخرى في كيانها. فكان أن استسلمت على مضض.. ومع أن هذا الاستسلام لم يكن أكثر بقليل من تنهيدة

صامتة، إلا أنه كان ينتظره.

تغيّر لون العينين البنيتين اللتين كانتا تتأملان وجهها، وتحولتا إلى لون داكن تتخلله النيران وحدة نظرته التي لم تخففها.. ماذا؟ أيمكن أن يكون العجب؟ أم هي الترحيب؟

أحنى رأسه فلم تع أنها رفعت رأسها إليه وكأنها تنتظره بشوق جائع وفضول لا يتناسب مع من في عمرها.

كانت جورجينا في السادسة والعشرين، وفي القرن العشرين.. ولكنها ما تزال نقية لا تجارب لها، لم يسبق أن أقامت علاقة حميمة أو عابرة مع أي كان بل في الواقع لا تذكر إن كان هناك من عانقها.

لم يكن السبب عدم اهتمامها بهذه الأمور.. إلا أنها كانت تحافظ على نفسها أكثر مما تفعل بنات جيلها. وقد قالت لتاليس الحقيقة المطلقة فمعظم أبناء جنسه يبعثون إلى نفسها الضجر والسأم. وطالما تعرضت لتحرشات أصدقاء شقيقيها من الرياضيين.. وكانت تجدهم جذابين جسدياً، ولكنهم في الوقت ذاته مغرورين بشكل لا يطاق، عديمي الذكاء. كما تعرفت لرجال اهتموا بها أضعافاً مضاعفة حين اكتشفوا أنها من عائلة رياضية شهيرة.

لكن نشأتها في بيت يعجّ دائماً بالرياضيين، جعلتها تميل للإيمان بأن هذه الأجسام المرنة النامية، أمر طبيعي.. وفيما بعد أصبحت عاجزة عن القبول بمن هو أقلّ منها ذكاء.

أضف إلى هذا أنه لم يكن لها قدرة صديقاتها من الفتيات على التهور العاطفي.. أي الوقوع دائماً في الحب بعد قراءة ميزات أشخاص لا وجود لهم في وضح النهار. وكانت على المستوى

الغريزي، غير قادرة على التنازل عن مبادئها وغير قادرة، حتى في أكثر اللحظات يأساً، على إقامة علاقة مع رجل على أساس الجسد فقط. كانت ترفض أن ترتبط برجل ليس بينها وبينه رباط عاطفي أو نفسي أو فكري. كما أنها لم تكن تتصور نفسها قادرة على التهور في أعمال خاصة مع شخص لا يستطيع إشعال جذوة عميقة وقوية في داخلها.

والآن، وبدون أدنى تعقّل تهاوت مبادئها التي حافظت عليها بدقة طوال حياتها.. ولكن في الواقع، تهاوت تلك المبادىء بالسهولة التي بنتها فيها.

كانت تعيش، وبشكل كبير، في عالم خاص بها. في عالم البدائيات، والحقائق التي تنأتى من أفكارها.. لذا كان عناق تاليس كالسير إلى لجة عميقة لا قرار لها، ليس فيها ما هو مألوف، فجأة أصبحت الكلمات والأفكار غير موجودة وتوقف المستقبل والماضي عن الظهور.. فجأة وجدت نفسها ترقص في عالم ليس فيه إلا هذه اللحظات فقط.

كانت الأحاسيس ناراً هادئة تلذع شرايينها، وكان هناك شعاع ذهبي من شمس صفراء لامعة تملأ كيانها، وتزداد حدة أكثر فأكثر وهي تهيم إلى الأعلى فالأعلى، سعياً إلى راحة من نوع ما، تعرف بالبديهة أنها موجودة.. لكنها لا تعرف أين..

ابتعد عنها بلطف ولكنه ظلّ ممسكاً بها بحيث راحت أنفاسه تحرك شعرها. أما هي فبدأت ببطء بالانتقال من ذلك الكون المثير العاطفي إلى عالم الوعي ولكنها رغم عودتها إلى أرض الواقع ظل تفكيرها وأحاسيسها موشاة بالذهب. شعرت بأنها على مقربة من إنسان ما قرباً لم يسبق أن وصلت إليه مع أحد، وقد ولّد قربه هذا

إحساساً بالدلال والصواب والانتماء فأغرقت نفسها أكثر بذلك الإحساس بأن عقدت ذراعيها حول خصره دافنة رأسها في صدره مصغية إلى خفقات قلبه المنتظمة.

ضحك بخشونة:

ـ حسناً.. هل أحسست بالضجر؟

اختفت فجأة الغمامة الحالمة المريحة التي كانت تطوف فوقها كما تختفي فقاقيع الصابون. فجذبت نفسها من دائرة ذراعيه وراحت تمعن النظر فيه بعينين مذعورتين. يا إلهي! ماذا لو كان ما حدث بالنسبة له مجرد لعبة رجال.. مجرد تحدٍ لم يستطع مقاومة فك رموزه.

أعادها إليه فقبعت يده على ظهرها، محاولاً إبعاد الخوف الذي لمع في عينيها.. وتمتم:

ـ هذا يجعل كل شيء مختلفاً، جورجينا.

ـ ماذا تعني؟

ـ أوه.. يا رباه..!

وتركها ثم نظر إلى عينيها المضطربتين القاسيتين.

ـ أعني.. أنك ما عدت الأخت الصغرى لصديق. أعني أنك لست مجرد حامية منزل.. وهذا ما يجعل كل شيء مختلفاً.

الآن هو الوقت المثالي لتقول له أجل إنّ هذا ما يجعل كل شيء مختلفاً... وإن راجع دراسة كل شيء أفلا يجد أن من الأفضل له توضيب حقائبه الست من جديد والرحيل؟ ولكنها رغم ذلك لم تستطع بل عجزت عن هذا القول، فالكلمات علقت في مكان عميق في أعماقها رافضة الانصياع والخروج.. ثم قالت بثبات:

ـ إنها لا تغير شيئاً.. المنزل كبير.. ولا داعي إلى القلق فلن أتوقع منك كلما مررت بك أن تحضنني بين ذراعيك.. وما دمنا عرفنا أن ما جرى كان غلطة...

قاطعها بهدوء:

ـ لو كانت غلطة لما قلقت لهذه الدرجة.

ماذا يقول؟ فهو بالطبع لم يكن مبتهجاً منساقاً، مندمجاً بروعة، كما كانت هي... هذا العناق غيّر كل عالمها، هز ذلك العالم من قوائمه، ومن السذاجة المطلقة أن تصدق بأن تلك المشاعر كانت متبادلة بينهما.. وأن يكون هذا هو «الفارق» نفسه الذي يتحدث عنه.. لا شك أنه عرف مئات النسوة.. هه.. بل الآلاف.. فكيف يجرؤ على لعب دور العفيف الشريف؟ كيف يمكنه استغلال شيء خاص حدث له؟ لماذا يتحرك نحوها بهدف إهلاكها.. الكازانوفا القاسي القلب!

قالت وأنفاسها متسارعة، وعيناها قد انقلبتا إلى جليد:

ـ سيد واند.. أفهم أن معظم الرياضيين يعتقدون أنهم موهوبون بطاقة وجاذبية أكثر من الإنسان العادي، ولكنني لن أكون الطرف الذي يتلقى غرورك الذي في غير محله.

تفجر الغضب في وجهه، وتأرجح خطر العنف الجسدي في الهواء بينهما. ثم تلاشى هذا الانطباع عن قسمات وجهه، ومرر يده في شعره الكثيف اللماع، وسأل بهدوء.

ـ لماذا تصورين ما جرى بيننا بشعاً.. جورجينا؟

قالت لنفسها بشراسة: أنت لا تدينين له بأي تفسير...! اطلبي منه الرحيل! الآن حالاً! إنه خطر جداً... مع ذلك ورغم يأسها وارتباكها، وعذابها بدا لها هذا القرار نهائياً وقاسياً جداً.

كان يبدو صادقاً.. متألماً حقاً. ولكنها كانت تشك في أنها ما تزال تشعر بالذنب لأنها ترعى حلماً مراهقاً قديماً، وهو أن هذا الرجل على الرغم من حب العالم له سيقع في حبها. كان يبدو لها أمراً واقعياً كما يبدو لمراهقة تتأوه أمام صورة ممثل سينمائي وتفكر: ليتني ألتقيه!

أدركت فجأة، أنها تشكل خطراً على نفسها بمقدار خطره هو عليها. وقد تكون جورجينا بارتون المؤمنة بالواقعية، للمرة الأولى، غارقة في غرام خيالي من طرف واحد.

قالت بوهن:

ـ تاليس.. لقد حدث الأمر بسرعة كبيرة.. وبعد وقت قصير جداً. أتعرف ما أعني؟ نحن ما زلنا غرباء.

لامس خدها بنعومة:

ـ إنه مجرد عناق جورجينا، وليس هناك ما هو مخيف.

إن كان تجاوبها مع مجرد عناق أدى إلى ضعضعة كيانها فماذا سيحدث إن تطور العناق إلى ما هو نتيجة حتمية للشغف.

تابع بنعومة:

ـ لكن ما شعرت به صدمني وكما سبق أن قلت إن عناقنا هذا سيجعل الأمور مختلفة فبعد الآن لن أقدر على النظر إليك دون التفكير في ما حدث، ودون الرغبة في تكرار العناق. لكنك على حق فما زلنا غرباء، لذلك يجب أن نتراجع لنعود من جديد مستأجراً وصاحبة منزل فلا أريد تعقيدات.

فجأة، رن جرس الباب، فأجفلت جورجينا.. غير أنها أملت ألا يعزو إجفالها هذا إلى التوتر الذي تشعر به.. والغريب أنها انزعجت حين لم يظهر الاهتمام. قال وهو يدس يديه في جيبيه:

- ربما هي أغراضي قد وصلت.

ومضى نحو الباب يصفّر.. يصفّر!

إنه رائع.. هو رجل ناضج عاقل. فلماذا إذن تحس برغبة في ركل ساقه الصحيحة لترميه أرضاً؟

فعلت ما كان يجب أن تفعله منذ ساعة مضت.. صعدت السلم عائدة إلى سريرها.. ولكن الأصوات اللعينة التي كان مصدرها ما لا يقل عن أربعة آلاف رطل من المعدات المسحوبة فوق السلم، منعتها من العودة إلى النوم... ولم يكن السبب، هو الجوع الذي تملك نفسها وراح يطالب بالغذاء.

سمعت كذلك صوت قوائم سنوكل الثقيلة، تطرطق صعوداً ونزولاً على خشب السلم... بدا كلبها الذي كان سابقاً سريع الاضطراب وكأنه واقع تحت سحر ضيفها المثير، فقد نسي حتى اضطرابه الذي يولده وجود الرجال، جذبت الوسادة بغضب ووضعتها فوق رأسها، تتساءل عما إذا كانت تضع الوسادة لمنع استماعها إلى الأصوات، أم لكتم أنفاسها.

* * *

أقنعت جورجينا نفسها بحزم أن السبب الوحيد لاقترابها من غرفة تاليس، كان بقاءه هناك مختفياً طوال بعد الظهر، وعدم رغبتها في تركه يتخلى عن العشاء الذي أمضت معظم يومها في تحضيره.. وقالت لنفسها، إنها لا تشعر البتة بأي فضول في ما يخص المعدات التي وصلته هذا الصباح، ولا في ما يخص الأصوات التي كانت تصدر من غرفته منذ ذلك الحين.

- ادخل!

دخلت غرفته بحذر، ثم لم تستطع إخفاء معالم الفزع عن وجهها.. غرفتها الجميلة التي تعود في طرازها إلى المقلب الآخر من القرن، تحولت إلى غابة من القضبان الحديدية والأثقال.. وكان تاليس يعمل في قطعة من المعدات تبدو وكأنها صممت خصيصاً لتعذيب البشر، وفي يده مفتاح إنكليزي.

قال معلقاً: «ألا يبدو المكان كالجحيم؟».

هل لاحظت فعلاً تجهماً محدداً في كلماته المرحة؟

- كان بإمكاني تأجيرك القبو فهو مكان أنسب لإقامة غرفة تعذيب فيه.

هز رأسه مفكراً:

- ليس اختيارك للتشبيه بسيء.. ربما أعلّق بضع خيوط عنكبوت صناعية حولي، وأضيف مشنقة وأصوات صراخ مسجلة.

أحست وكأنه يحاول إخراسها ويتعمد خداعها بكلماته المرحة التي لا تنسجم مع تعبيرات وجهه، فقالت:

- ألا يمكن أن تكون جاداً أبداً؟ وهل ستؤلمك هذه المعدات حقاً؟

ردَّ حزيناً: «جورجينا.. ستؤلمني كما تؤلم الجحيم ناسها. وصدقيني، لن أضحك..»

بدا مستريحاً لأنه تخلى عن واجهته المرحة. فسألت:

- إذن، لماذا تفعل هذا؟

- أنا مضطر.

وتحركت عيناه عن غير وعي إلى صورة موضوعة على رف الخزانة، وكانت هذه الصورة هي اللمسة الخاصة الوحيدة التي أضافها إلى الغرفة هذا طبعاً عدا آلات التعذيب. تبعت عيناها

www.elromancia.com

نظرته فأحست بأن وجهها تجمد ساتراً قسماتها الساكنة، مخبئاً نوبة مفاجئة من الغيرة والغضب. كيف عانقها وله حبيبة؟

القذر! الخنزير القبيح! خاطف الأطفال! فلمحة واحدة للصورة تؤكد أن الفتاة الجميلة الواسعة العينين لا تتجاوز السادسة عشرة من عمرها.. لكن جورجينا عادت وفكرت أن هذا قد يعود إلى جدائل شعرها الأدكن وإلى القسمات العفريتية وإلى المكر، والابتسامة المنفتحة التي تضفي عليها براءة الشباب. وعندما نظرت عن قرب أكثر لاحظت أن هناك شيئاً في العينين السوداوين الثابتتين، لم يكن يوحي بصغر السن أبداً.. كل ما فيها كان جميلاً.. ولكن ما تراه لا يحدّد عمرها بالتحديد. ربما تكون في العشرين أو ربما أكبر من هذا بعشر سنوات، من المستحيل المعرفة.

أبعدت بصرها على مضض عن الصورة وغموضها وقالت بحدة:

ـ العشاء في السابعة.

ـ روستو مع كل المتبلات؟ من صندوق الكرتون مباشرة؟

حسناً.. أنا جائع.. وأرجو أنك قد حضرت لي قطعتين.

ـ سيكون لك ما يكفيك.

وأقفلت الباب وراءها بيد مرتجفة.

ما إن وصلت إلى المطبخ حتى أحست باندفاع متهور لإخراج «الروستو» البني اللون، والنقانق الذهبية والأرز من الفرن ورميها جميعاً في سلة المهملات واستبدالها بعشاء جاهز..

عوضاً عن ذلك شرعت بتحضير المائدة لشخص واحد في غرفة الطعام وتفكيرها يعمل محموماً.. تفهم الآن ماذا عنى

«بالتعقيدات» تماماً. ثم فكرت بسذاجة أنه ربما تكون الصورة لشقيقته أو لابنة عمّ مفضلة لديه.

لكن لا.. فهو لم ينظر إلى الصورة بطريقة أخوية لقد نظر إليها وكأن قدره كله مربوط فيها...

تنهدت تنهيدة عميقة. إذا كان يظن أن بإمكانه العبث مع ربة المنزل على حساب شقراء نحاسية غبية، قد تجد سبباً لمسامحته، ولو أنها تشك في هذا. لكن.. كيف يخون صاحبة الصورة حتى ولو بإلقاء نظرة إلى امرأة أخرى فكيف بمعانقتها والإيحاء بحدوث أشياء أخرى إن سمحا لنفسيهما بذلك..! لا عجب إذن لاضطرابه ذاك حتى ولو أن لحظة ندمه كانت قصيرة وبشكل مقرف... كيف يستطيع النظر إلى تينك العينين الغريبتين المزينتين الحكيمتين اللطيفتين، والاعتراف أمامهما بخيانة ما جاءت وليدة الطيش؟

يا للرجال! ألا يفهمون أبداً؟ ألا يعرف تاليس واند أن لديه شيئاً مميزاً جداً، لا يمكنه أن يخاطر به من أجل عناق متهور؟ في صاحبة الصورة شيء مميز يجعل الغرباء في الشارع يقفون محدقين إليها بأسى عندما تمر بهم وكأنهم يريدون شيئاً مما تلمع به عيناها، يريدون أن يلتقطوا ولو القليل من تلك الروح المراوغة.

سمعته ينزل السلم، فجذبت نفسها من أفكارها، ورتبت قسمات وجهها وجعلتها قسمات لا مبالية. عندما دخل شعرت بألم رغم ساقه المريضة.

سحب نفساً قوياً وأعلن:

ـ جورجينا.. لم أشم قط مثل هذه الرائحة.. وأعرف تماماً أنه ليس بالعشاء الجاهز.

ارتفع حاجبه، ونظر بعينين حائرتين إلى وجهها.. فسارعت

تقول ببرود: «لقد تناولت وجبتي!»

ـ صحيح؟

ارتدت عنه: «هل تمانع بإخراج طعامك من الفرن؟».

ـ لا أظن.

ـ حسناً.. تمتع به.

ما أن أصبحت آمنة وراء باب غرفة النوم المثلثة السقف حتى مزقت قطعة عنيدة من ورق الجدران، كانت تجاهد في إصلاحها.

عظيم... أجل.. لقد تعاملت معه بكفاءة وهنأت نفسها. مع أن معدتها كانت تتأوه بشكل ظاهر، فقد نسيت تحضير طبق طعام لنفسها.

* * *

٥ ـ السعادة لا تباع

ـ جورجينا!

بدّد نداؤه لها باسمها الصمت الذي طال بينهما أسبوعاً، فقد أقفلت جورجينا على نفسها باب الغرفة العليا، وعملت بجهد لتحضير الجدران للطلاء ولورق الجدران.. وكان تاليس أيضاً لا يكاد يغادر غرفة التعذيب. فهو يمضي صباحه بهدوء وكانت تترك له العشاء في الفرن، وتتركه يفعل ما يشاء بالنسبة للفطور والغداء.

كانت تتصرف وكأنه غير موجود تقريباً، ولكنها بالطبع لم تستطع نسيانه. وما أدهشها أنها وجدت نفسها تنام بشكل أفضل ليلاً لمجرد معرفتها بأنه قريب منها. لم تكن تعرف كم مرة استيقظت قبل الآن، وأنفاسها عالقة في حلقها وأذناها متوتران أمام صمت المنزل الكبير.

لكنها لم تكن تحس فقط بالأمان بل كانت تحس بقوة وجوده، مع أنها كانت تتجنبه. أحست به، وأحست بالراحة معه، في هذا الصباح حين كادت تصطدم به وهو خارج من استحمامه.. أحست أن شيئاً قوياً مغناطيسياً يحيط به. لمعان شعره الفضي عند الأطراف متجعد ورطب وكانت عضلاته المتناسقة تلمع نظافة

www.elromancia.com

وسحراً، أما رائحة الصابون وانتعاشة الربيع المنبعثتين منه فكان لها تأثير أقوى من الدواء.

شهقت شهقة عميقة ثم مرت به ودخلت إلى الحمام حيث صفقت الباب وراءها واستندت إليه بإعياء.. كان تأثيره سيكون أوضح لو وضعت يافطة تقول: على النزلاء أن يرتدوا ملابسهم في كل وقت!

استحمت بمياه باردة وأقسمت ألا تكون هنا في مثل هذه الساعة في أي يوم.

صاح ثانية: «جورجينا!»

فتحت باب الغرفة العليا، وأطلت عليه من ردهة السلم.

ـ ماذا؟

حاولت أن يخرج صوتها طبيعياً، لكن الصوت دوى في أرجاء المنزل القديم مع أن لا حاجة أبداً إلى رفع صوتها!

ـ انزلي إلى هنا!

ردت بخشونة: «قل أرجوكِ».

ساد صمت طويل، ثم قال بنفاذ صبر:

ـ أرجوكِ!

كان في المطبخ يعقد يديه حول صدره وينظر إلى سنوكل الذي لم يكن مهتماً بمزاجه والذي كان يتجول جيئة وذهاباً، وذنبه يلوح بسعادة، وأسنانه مطبقة بعناد على... على ماذا؟

نظرت بحدة إلى كلبها السعيد. فقال تاليس وهو يشير إلى قماش أزرق بين أسنان الكلب:

ـ أريد استعادة هذا.

سألته ببراءة، مع أنها كانت تعرف: «ما هذا؟».

كبحت الضحكة التي بدأت تتكون في صدرها. حرجه الحقيقي قد يصيب بالذهول رجال الصحافة المصرين على نعته بالعابث:

ـ دعك مما هو..! فأنا أركض خلف هذا الغبي منذ نصف ساعة. والمرة الوحيدة التي قبضت فيها على... هذا.. لم يتركه.

ـ أتعرف تاليس.. لديّ إخوة، ولقد رأيت السراويل الرجالية من قبل.

رد بوقار:

ـ أعرف هذا. لكن ما كنت لا أعرفه، هو أين سيتجه هذا الغبي بغنيمته بعد انقضاضه العاصف على غرفتي.. لقد كان يدخل ويخرج بطريقة لم أكن أظن أنه قادر عليها، نظراً لفقدانه النشاط الديناميكي.. ماذا لو أخذ غنيمته إلى غرفتك وتركها تحت السرير؟ ماذا لو تركها على الأريكة؟ أنا في الواقع لا أريد لرأيك بي أن يكون أكثر انحطاطاً عما هو عليه.

أجفلها في البداية أن تعرف أن رأيها به يهمه، ثم أحست بالخزي بسبب تصرفها البارد الذي اتخذته لمجرد رؤية صورة. كانت أطباعها قد هدأت فعرفت أن حكمها عليه كان متسرعاً ومرتكزاً على أساس غير متين. كيف تتهمه بعدم الإخلاص، وهي لا تعرف شيئاً عن العلاقة المزعومة أو عن صاحبة الصورة؟

وما أن تذكرت المناسبة التي نظر فيها إلى الصورة، حتى بدا لها أن لهذا الوجه الجميل البريء علاقة بجهود تاليس البائسة للعودة إلى كرة القدم... وللمرة الأولى سمحت لنفسها بالتساؤل عما إذا كان الألم الذي بدا على صاحبة الصورة حقيقياً أم أنه مجرد

www.elromancia.com

تعبير... ربما هي ممثلة قادرة بسهولة على الظهور بمظهر المرأة المحطمة الفؤاد.

أحست بالبديهة أن جهوده المضنية مرتبطة بهذه الفتاة بطريقة ما، وأنها لا تتعلق فقط بصحته.. فهل يخشى أن يخسرها إن أفل نجمه؟ أيخشى أن يخسرها إن لم يعد بطل كرة القدم الذي تنحني له رؤوس السقاة وبائعو السوبر ماركت؟ أو لا يثق بأنها ستظل تحبه كما هو.. وليس لما هو؟ ألا يرى أنها قادرة على الفصل بين الرجل وشهرته؟.. إن قضاءه الساعات في عذاب يومي يعني أنه يحبها حباً جماً. كما يعني أنه يرى مهنته وسيلة لإغرائها وكسب مودتها، لكن حباً كهذا قد يدفعه بسهولة إلى السعي إلىٰ أحضان امرأة أخرى... إلى عبث لا يتطلب منه شيئاً.

ورغم تفكيرها المنطقي هذا لم تستطع تغيير واقع أنه متورط في مكان آخر، وهذا بالنسبة لها يكفي.. ولا فائدة أبداً من الاعتراف حتى لنفسها أنها معجبة به إعجاباً يجعلها تتمنى له أفضل شيء في الوجود. لذا تتمنى أن يكون متورطاً بعلاقة عمادها الاحترام والمرح والمصالح المشتركة عوضاً عن علاقة عمادها الشهرة التي يقتل نفسه ليستعيدها. لا.. من الأفضل أن تعترف أن لا شأن لها بهذا وعليها أن تتجنبه.

تنهدت، ولكنها لا تستطيع أن تجعله بتجنبها له يظن أن رأيها فيه وضيع، صحيح أنها امرأة سريعة الغضب ولكن إهانة إنسان وإيلامه في لحظة غضب أمر وإغضابه والاستمرار في أذيته متعمدة أمر آخر. إنها لا تهتم حتى وإن أفل نجم بطولته في كرة القدم فما زال لديه مشاعر ولا تظن أن أحداً يحب أن يشعر أنه مكروه أو يحب أن يسخر منه أحد أو ينظر إليه من فوق.

بدأت تعترف بهدوء:

ـ تاليس.. ليس رأيي بك وضيعاً.

بدا عدم التصديق في عينيه بصراحة:

ـ إن طريقتك في إظهار ذلك جهنمية.

ـ ماذا تعني؟

رد بنعومة:

ـ أعتقد أنه تولّد لدي انطباع بأنك تكرهيني.. فأنت تأكلين بمفردك كل مساء وتتركينني آكل وحدي. وإذا صدف والتقينا في الردهة أو الممر تديرين وجهك كما لو أنك قابلت مجذوماً..

صاحت به تقاطعه، وقد نسيت غصن الزيتون:

ـ اسمع.. إن كان لا وقت لدي أو ميل لمجاراتك في رغباتك..

قاطعها بسهولة قائلاً: «هكذا أفضل».

وضحك لها، ضحكة رائعة، ساحرة، جانبية تضع مليون قلب إلى جانبه.. وأكمل:

ـ والآن.. أتسمحين بمساعدتي في استعادة ما لا أستطيع ذكره، من هذا الوحش الذي تصرين على تسميته بالكلب..

آه! مرة أخرى يعود إلى موضوع الكلب الآمن:

ـ أظنني قلت لك إن بإمكان سنوكل أن يكون عبقرياً لو صمم على شيء.. لقد قادك متعمداً إلى المطبخ لأن على البراد طعام مفضل لديه، وهو مستعد لمبادلة سروالك بشيء منه.

ـ كلبك اختطف سروالي لأجل....؟

ـ قلت لك إنه ذكي.

ـ لكن كيف تسمحين له بأن ينجو بفعلته.. هذه ليست طريقة

جيدة لتدريب كلب.. فقد يصبح متسلطاً، وسيدير المنزل كما يريد قبل أن تدركي ما يحصل.

ـ لكنني لاحظت أنك لم تتورع عن رشوته بالشوكولا حين أردت أن يفعل شيئاً!

ـ ذاك أمر مختلف.

ـ وكيف؟

ـ لقد كان...

وصمت.. ثم مد يده إلى علبة الطعام وأخرج قطعة شوكولا منها:

ـ أعتقد أن علي تقديم هذه له بعد نزع الغلاف عنها.

ـ لا.. فهو يحب أن يفعل هذا بنفسه.

نظر إليها شذراً، ثم انحنى يعرض على سنوكل الشوكولا يقول متمتماً:

ـ من الإذلال أن أعامل بهذه الطريقة على يد كلب لعين!

نظر سنوكل إلى الشوكولا، ونفخ، ثم أدار وجهه. فتطلع تاليس إلى جورجينا بريبة، وكأنه ظن أنها تشارك الكلب في مؤامرة لخداعه والسخرية منه:

ـ ماذا هناك بالله عليك؟

ردت وكأنها تقرر أمراً واقعاً:

ـ ثلاثة قطع على الأقل.

تأوه تاليس:

ـ لقد أخطأت في وجهتي ووقعت في بيت مجانين.

ارتد ليملأ يده بحفنة من الشوكولا التي قدمها إلى سنوكل..

نظر الكلب نظرة لا يمكن وصفها إلا بالاعتداد بالنفس قبل أن يضع

السروال من فمه. ثم لم يلبث أن ملأ فمه بما هو معروض عليه وخرج منتفخ الخدين.

ـ ظننتك قلت إنه ينزع غلافها.

ـ أجل.. لكنه يفعل هذا في الخزانة.

قهقه فجأة بصوت غني بالمرح يشبه نور الشمس المتدفق على أرض المطبخ البرّاقة.. وجعله جذاباً بشكل غير طبيعي وهذا ما محا ظلال الألم التي كانت تشكل خطوط توتر على فمه، وتحت عينيه.. هذه الظاهرة أبرزت خطوط الضحك حول عينيه اللوزيتين وجعلته يبدو أكثر شباباً وأشدّ حيوية ونشاطاً. لمعت أسنانه البيضاء فتناقضت أي تناقض مع بشرته السمراء، ووجدت جورجينا نفسها مأسورة أسراً كاملاً، فبادلته ضحكته لأنها تعجبها قدرته على أن يضحك على نفسه.

ضحكته ماتت وبسمتها تلاشت، ووقفا يتبادلان النظرات فيما همس الهواء الصامت حولهما يشتد كثافة... ولكنها انتزعت نفسها من الوعد الرائع الخبيث، والسحر الذي أطل من عينيه لتقول:

ـ حسناً.. يجب أن أعود إلى عملي.

ـ وأنا كذلك.. لكنني أحتاج إلى فترة راحة.. اسمعي، لا ألومك على تجنبك إياي.. فأنا أعرف أنني لست شخصاً مناسباً للرفقة في الوقت الحاضر... هيا لنقم بنزهة معاً جورجينا.

أبعدت نظرها عنه إلى خارج غرفة المطبخ.. إنه يوم رائع فيه الشمس لطيفة ومتراقصة بين الأشجار، وفيه العصافير مزقزقة والماشية تخورمن بعيد.. إنه يوم ساحر كسول من أيام الصيف.

بدا لها أنها تحرم نفسها من سحر الصيف بفرضها العزلة على

نفسها في غرفة المنزل العليا.. فجأة لم يعد شيء قادراً على منعها عن الهواء النقي، أو عن رفقة تاليس.. فمن حق كل إنسان التمتع بشيء من السحر من وقت إلى آخر.. شيء من السحر البريء لا غيره. أرادت أن تساعده على الراحة، وعلى نسيان العذاب الذي يفرضه على نفسه مهما كانت أسبابه.

سألته بطريقة توحي بالقبول: «وإلى أين تريد المسير؟».

ـ ما رأيك بالبحيرة؟

ـ إنها ليست مجرد نزهة تاليس.. إنها رحلة لثلاثة أيام! فالبحيرة تبعد عشرة أميال.

ـ لا.. إنها تبعد ميلاً ونصف تقريباً.

ـ أوه.

ـ اسمعي، إذا كان أعرج مثلي يستطيع الوصول..

ـ لا تنعت نفسك بهذا مرة أخرى.

أدهشه عنف كلماتها فقال وكأنه يجرب فكرة، ليس عليها بل على نفسه:

ـ أتعرفين جورجينا.. من الممكن أن أبقى هكذا طوال حياتي.. ربما لن أتمكن من السير السويّ مرة أخرى.

لقد ترك شيئاً لم يقله، لكنها سمعته:

ـ خاصة إذا لعبت في دورة أخرى تاليس؟ أهذا ما تحاول قوله؟ أتقول إن ساقك قد تظل معطوبة بشكل دائم؟

تغيرت لهجته، وأصبحت خفيفة:

ـ آه.. الله.. أعلم إن كنت قادراً على اللعب.

أرادت أن تسأله لماذا يفعل هذا، ولكنها أحست أن لا طائل من سؤالها.. فقد سألت من قبل ولم تتلق رداً.. إذن الأمر الذي

يخفيه شخصي بحت.. لمست ذراعه، لتقول بصوت صلب كالفولاذ:

ـ اصغي إليّ تاليس واند.. قد تصبح مقعداً حين تجلس في كرسي متحرك.. لا حين تعجز عن استخدام قدميك في الملعب.. الناس الذين يحكمون عليك بهذا هم المقعدون، لا أنت.. لأنك لن تكون مقعداً أبداً.

تكهرب الجو من جديد وارتبطت عيناه بعمق عينيها، بسؤال وأمر.. فأنزلت يدها عن ذراعه، وأشاحت بنظرها بعيداً وشعرت بالحرج فجأة. من أين جاء هذا كله إلى نظرته؟

ـ فلنذهب.

رد بنعومة: «فلنحمل معنا طعاماً للنزهة».

قالت لنفسها: لا تجربي حظك كثيراً يا فتاة.. لكن نفسها لم ترد عليها.. بل هو شيطان صغير تولى القيادة في داخلها. وقال لها بصوت شيطاني أبرزته حنجرتها:

ـ طعام للنزهة؟ يبدو لي هذا رائعاً!

ـ سأحضره أنا.. اصعدي إلى غرفتك ورتبي نفسك.

في تلك اللحظة أدركت إلى أي حد كانت ملطخة بغبار الطلاء القديم. كان يبدو قميصها العسكري وكأنه من سوق المبيعات القديمة وكان شعرها رازحاً تحت نير منديل غريب اللون وكان وجهها ملطخاً بالغبار والصمغ، والعرق، مع ذلك نظر إليها منذ دقائق والرغبة تتطاير من عينيه! لا بد أن الرجل مريض! لماذا تبدو مغتبطة إلى هذا الحد لمجرد اهتمام رجل مريض بها؟

اندفعت بشوق إلى غرفتها فاختارت عن غير وعي ملابس تنسجم مع مزاج ينمو ويكبر كبالون طائر برّاق.. ارتدت سروالاً

www.elromancia.com

قصيراً وبلوزة بيضاء ربطت فوقها قميصاً أحمر شفافاً.. ومررت فرشاة في شعرها، ووضعت لمسة خفيفة من المساحيق. متى كانت المرة الأخيرة التي وضعت فيها الماكياج؟ ثم دست قدميها في خفين حمراوين، وهرعت راكضة على درجات السلم.

كان يضع آخر سندويش في سلة من النايلون.. فابتسم لها، وقال ممازحاً:

ـ إنك الرد على حلم أي رجل.. امرأة مستعدة للخروج في أقل من عشر دقائق.

ذكرتها ملاحظته هذه بمدى معرفته بطبائع النساء.. فحاولت ألا يبدو صوتها خشناً:

ـ إنها مجرد نزهة، وهي لا تحتاج إلى ساعة في الحمام.

ـ حسناً.. بإمكانك تعليم زازا كاندل أشياء كثيرة!.

ابتلعت جورجينا ريقها بصعوبة.. زازا كاندل؟

ـ أهي الممثلة؟

ـ أجل.. لقد فرضت نفسها على إحدى رحلات صيد السمك التي أقوم بها.. وتركتني أنتظر أربع ساعات في غرفة جلوسها.. ثم ظهرت الظهور الكبير: بذلة «سافاري» حريرية وماكياج سمكه ثلاثة إنشات. وشعر مغلف بكلات من البلاستيك المنثور، وعطر قوي كاد يذبل نباتات منزلها.

إنه يعرف زازا كاندل وهي شقراء رائعة أصبحت الآن اسماً تتداوله البيوت بعدما بدأت تمثل مسلسلاً تلفزيونياً يقص قصة امرأة تدير دكاناً لبيع الحيوانات الأليفة وهو مسلسل يرقى إلى ذوق الأثرياء فقط. شاهدت جورجينا المسلمسل مرة في منزل أمها... وهذا ما ذكرها بالسبب الذي جعلها ترفض اقتناء جهاز تلفزيون.

سألته ببرود:

ـ وهل التقطت أية سمكة؟

عندما سألت هذا السؤال وُلد سؤال آخر في ذهنها: ما موقع هذه المرأة منك؟

ابتسم بخبث:

ـ لم ترافقني.. قلت لها إن عطرها يجذب الدببة. وفيما كانت تركض صائحة من الرعب إلى غرفتها، تسللت إلى الخارج واتجهت إلى التلال.

ـ هل أنتما صديقان؟

هز كتفيه بعد أن فقد الاهتمام بالموضوع:

ـ لا أدري إذا كانت الصداقة هي الكلمة المناسبة.

حسناً، هذا قد يعني أموراً متباينة تتراوح بين عدم اكتراثه المطلق بجمال الشقراء وبين واقع أنه على علاقة بها.. على الأقل يذكر هذا جورجينا بالوسط الذي يدور فيه.

رفع السلة إلى كتفه بسهولة، وفتح الباب لها ثم انطلقا على درب ضيق معتم يمر قرب المنزل وظلاً يسيران حتى استدار تاليس إلى ممر ضيق ملتو بين الأشجار.

كانت النزهة لطيفة، وأقصر مما تصورت وهذا يعني أن تاليس قد اتخذ هذا الطريق أكثر من مرة في الأسبوع المنصرم. كان أحدهما يسير خلف الآخر بدون أن يتكلما مستمتعين بالمناظر الخلابة مصغيين لأصوات الغابة الغارقة في نور الشمس. راحت تدريجياً صورة زازا كاندل، والملاك، وهي التسمية التي أطلقتها على صاحبة الصورة، تتلاشى من تفكير جورجينا.

سألها تاليس: «ما نوع هذه الأشجار؟».

توقفا في فسحة صغيرة طلباً للراحة كان يحيط بها أشجار ضخمة كثيرة العقد، أوراقها الوارفة تظلل الفسحة كلها. . نظرت جورجينا إلى الأشجار مفكرة، ثم دارت حول إحداها ومررت يدها على الجذع مقطبة. . ثم هزت رأسها ونظرت إلى تاليس، لتقول بوقار:

ـ إنها شجرة خضراء.

تردد صدى ضحكته العميقة في الفسحة فطاردت مرة أخرى ظلال الاضطراب والانشغال عن وجهه وأثرت مرة أخرى في قلب جورجينا بأغرب طريقة.

غمزها بإعجاب:

ـ رد جيد. أنا لا أعرف أسماء الأشجار كذلك. . وهذا لا يعني أنني لا أتمتع بها.

أمضيا بقية الرحلة قرب ضفة البحيرة يتحدثان بمرح ويتبادلان الأدوار في تسمية الأشجار المختلفة بأسماء غريبة. كانت جورجينا تشعر تماماً بما شعرت به في الصباح الأول الذي تشاركا فيه وجبة الفطور. أحست بدفء رفقته وبراحة لم تشعر بها مع أي كائن بشري آخر.

أمسك يدها التي استقرت مع دفء وراحة يده. رفست خفها من قدمها وشرعت تسير معه في الماء تميل أكثر فأكثر إلى جسده القوي لتستند إليه، مع أنها عزت ذلك إلى وعورة البحيرة وكثرة صخورها. ليس للأمر علاقة بالحرارة التي تنبعث منه أو بالخفقات الكهربائية اللذيذة التي تسري فيها كلما اشتدت يده على خصرها، أو كلما لامست ذراعه أو صدره قدها الرشيق.

فجأة وجدت نفسها مغمورة بضمة حميمة. . إنها طريقته في

التعبير عن الرضى الذي يشعر به. فقد ابتعد عنها فوراً تقريباً مع أن ذراعه لم تبرح كتفيها. نظر إلى البحيرة بعينين متقدتين إعجاباً ثم قال:

ـ أتعلمين. . لقد حصلت على كل شيء. . على التألق، وعلى أفخر الأطعمة والأشربة وعلى أعلى شقة في بناء حديث قربه بركة سباحة، كما حصلت على منظر خاص بي هو لناطحات السحاب. . ولقد زرت معظم البلدان الأوروبية وجنيت مالاً وفيراً لن أستطيع أن أنفقه وقدت أفضل السيارات ولعبت البولو مع الأمراء ودعيت إلى كافة أنواع المهرجانات، وخبرت الحياة مع النجوم غير أنني لم أكن سعيداً كما أنا الآن. . أسير حافي القدمين في الماء معك.

وتنهد. . فكاد قلبها يختنق في حلقها، ولو أدار عينيه البنيتين إليها لظنت أن ما يقوله خاص لها. لكن بصره ظل مستقراً على قمة جبل بعيد. ربما هو متأثر بالمنظر. . فالجو حول بحيرة رائع وملهم. . تبدو بساطة المناظر وروعتها، وسكونها وانعزالها بالنسبة لرجل حياته مرتبطة بشهرته أمراً عظيماً. ولكن ما يشعر به لن يدوم إلى الأبد. أما الفتاة التي تقف قربه فقد تشملها تأملاته لأنها في هذه اللحظات أصبحت جزءاً من المنظر. إنها كالتلال الخضراء وكالمياه الزرقاء الصامتة، الصارمة برقة على أقدامهما.

أعلنت جورجينا فجأة: «أكاد أموت جوعاً».

وتسللت من تحت ذراعه ولكنها سرعان ما شعرت بالفراغ، كما شعرت بأن العالم انقلب من ملوّن إلى أبيض وأسود مرة أخرى، ومن رائع إلى ما هو عادي. وكان واضحاً لها أنها تحس بهذا هي وحدها.

رد عليها ممازحاً:

ـ جورجينا.. مع الطريقة التي تأكلين فيها، يجب أن تصبحي ضخمة كمنزلك.

لحق بها وهي تخرج من الماء، ثم ألهى نفسه بالتفتيش في السلة التي أخرج منها بطانية ثم كمية ضخمة من الطعام، قطعة زبدة كبيرة، سندويشات موز وتفاح، وجزر مقطع وعصير، وقطع شوكولا. فسألته رافعة الحاجب:

ـ أهذه شوكولا سنوكل؟

ابتسم:

ـ تصوري هذا.. أنتقم من الكلب!

ثم لاذا إلى صمت محبب وتناولا الطعام في مواجهة الماء. كان لهما العالم كله ولم يكن يلوح أمامهما سوى قارب من حين لآخر.

بعد الغداء، استلقى تاليس على البطانية، وبعد لحظات تردد استسلمت جورجينا للإغراء وحذت حذوه فقد جعلت الشمس الدافئة، ومعدتها الممتلئة المقاومة مستحيلة..

وأشار بكسل إلى غيمة بيضاء قطنية الشكل تلوح فوق البحيرة.

ـ أترين التنين؟ إنه تنين صديق.. وكأنه كلب.

ـ لا تكن سخيفاً إنها تشبه الفيل.

ـ حسناً، لم تعد هكذا.. أظنها تشبه الآن سيارة. أجل.. أرى شكل «كامارو».

ردت بحزم: «بل فولس فاكن».

لم يلحظ أي منهما أن ملاحظاتهما كانت متباعدة، ولا أن

صوتيهما أكثر خشونة.. ثم تمتمت:

ـ أصبحت قط.

ـ آه.. أوه.. بل كومبيوتر.

ثم أطبقت الأذرع القابعة خلف الرأس وتعالت تنهيدة راضية تهمس في سماء بعد الظهر، ونام الرجل والمرأة وقد بدا الأمان والهدوء على وجهيهما الساكنين.

استيقظت جورجينا أولاً، وفتحت عينيها بدهشة ثم نظرت إلى تاليس باستغراب.

لقد تغيرت وضعيتهما أثناء النوم فبعدما كان كل منهما يتوسد ذراعه أصبحا مضطجعين على جنبيهما يواجه أحدهما الآخر، فيما إحدى يديه تستقر على خصرها وكأنها تحميها.

لو اتبعت ردة فعلها عقلها واتزانها لنزعت نفسها بعيداً عن يده ولجلست بعيداً عنه، ولكن ردة فعلها العاطفية تحكمت بها. إنها تشعر برضى تام لاستلقائها قربه بحيث تجد المتعة بوجوده على مقربة منها. وردة فعلها العاطفية هذه أمرتها بأن تراقبه فقط وأن تشبع نظرها من خطوط وجهه القاسية بنهم لم تكن لتسمح بأن يظهر عليها لو كان مستيقظاً.

وكان أن شرعت تراقبه مركزة اهتمامها على ارتفاع وانخفاض عضلات صدره المفتولة غارقة بتأمل أهدابه الكثيفة السوداء التي تبلغ طرف خديه. راقبت النسيم الخفيف يتراقص بجذل في شعره الفضي الرائع فحسدت النسيم على ذلك وتمنت لو أن أصابعها هي التي تعبث الآن بشعره.. راحت ترتوي من ملامحه وودّت لو كان لديها آلة لتصوره أو كانت تستطيع الرسم لترسمه، فهي تعرف أن هذه اللحظات فانية.. ولو التقطت له صورة لتمكنت من أن تضيع

فيها مرات ومرات.

ابتسمت ساخرة من نفسها.. حسناً.. ربما قُدّر لها أن تتصرف كمراهقة ساذجة، عوضاً عن التصرف كامرأة ناضجة ناجحة.. ربما الاسترسال في هوى لا ضرر منه، هو مرحلة في الحياة فاتتها منذ زمن بعيد. وكان عليها الآن أن تعود إلى الوراء لتختبرها.

أدركت فجأة، أنه بدأ ينضم إليها في العالم الحي. واستقرت عيناه على وجهها، وعلت ثغره ابتسامة شاحبة تخللها غموض خفيف.

ـ جورجينا.

كان صوته أجش بفعل النوم ولكن كان فيه خيط من الاستغراب:

ـ ما أشدّ سعادتي وأنا برفقتك!

أغمض عينيه:

ـ أتعلمين.. كان والدي من المهاجرين.. كانت جميع أنواع المرح غريبة عن منزلنا.. نشأت وأنا أتوق للمرح الذي كنت مؤمناً أنه جزء من الحلم الأميركي، لكنه استمر في مراوغتي. وحين احترفت كرة القدم وجنيت من المال الكثير رحت ألاحق المرح بحقد منتقم، سافرت إلى ديزني لاند وإلى لاس فيغاس، وهاواي وإلى منتجعات التزلج وإلى نوادي القمار، لكنني لم أجد قط ما كنت أبحث عنه.. كان كل شيء مصطنعاً. أتفهمين هذا؟

ـ ليس تماماً.

ـ بدا لي الأمر أن هذه الأماكن جميعها تحاول أن تبيع المرء شيئاً ليس أصلاً للبيع.. لا شيء هناك يمكن أن يعطيني البهجة..

يجب أن يحس المرء بالبهجة من داخله. جورجينا.. حين أكون معك، أحس بالبهجة من الداخل.. وهذه البهجة تجعل من قيلولة بعد ظهر مشمس أكثر مرحاً من ركوب دولاب الهواء في ديزني لاند.

أبعدت بصرها عنه وعيناها تترقرقان بالدموع.. ثم عرفت أو اعترفت بما كانت أصلاً تعرفه.. لم يكن ما تشعر به تجاه تاليس هوى فتاة مراهقة بل هو حب حقيقي. فقد وقعت في حبه منذ زمن لذا بشكل لا إرادي انتظرته عشر سنين. جعلتها معرفتها هذه تشعر بالأسى لأن حبها قد يتعرّض للأذى، وحاولت جاهدة أن تجر نفسها بسخرية إلى واقعها الحالي لحماية نفسها من قسوة الجرح القادم.. لكن محاولاتها بمواجهة الواقع باءت بالفشل..

ألا يكفيها أنها اليوم بالنسبة له مصدر سعادة ومتعة لم يعرفها حتى في مراجيح ديزني لاند؟ طبعت قبلة متهورة، مرحة، على طرف أنفه، ثم هرعت إلى الماء وقد بدا لها الغد بعيداً بعيداً..

* * *

٦ ـ منزل الأشباح

ظلَّ تاليس وجورجينا قرب البحيرة حتى استطالت الظلال فوق الماء في وقت متأخر من بعد الظهر.. ولكنهما حتى في هذا الوقت راحا يوضبان سلتهما على مضض، وكأنهما يشعران أن هذه الفسحة المكونة من الصخر والرمل المكان السحري لهما. هنا، لم يكن هو تاليس واند، ولم تكن هي صاحبة نُزل أو ناشرة مجلة.. هنا تركا أدوارهما في الحياة وراء ظهريهما. ولم يبق سوى شخصين يتوق كل واحد إلى التمتع بصحبة الآخر في يوم مشمس خال من جميع الهموم.. وقد جعل هذا الموقع المنعزل الأمر سهلاً، بل أسهل مما لو كانا على موعد، فقد وفرا هنا تعقيدات قد يتعرض إليها غريبان يتبادلان النظرات عبر طاولة عشاء على ضوء الشموع.

قال لها واعداً:

ـ سنقوم بمثل هذه الرحلة مرة أخرى.

رمى ذراعه بخفة حول كتفيها عندما وقفت لتلقي نظرة أخيرة على البحيرة.. أرادت أن تلح عليه بالسؤال. متى؟ قريباً؟ في الغد؟ في الأسبوع القادم؟ لكن الأسئلة ظلت متوارية في أعماقها، فهي تكشف الكثير من الأسرار التي تشتعل بدفء في داخلها.

لقد كان مرافقاً عطوفاً مهتماً بها طوال الظهيرة ولكن ذلك لا يعني أن عليها أن تظهر مشاعرها فقد يُصدم أو يرتاع إن عرف كنه مشاعرها القوية. لا.. من الأفضل الانتظار حتى ترى ما تكشفه الأيام الطويلة في هذا الصيف.

كان جرس الهاتف يرن عندما اقتربا من المنزل، هرعت جورجينا إلى المطبخ وردت بمرح وبأنفاس مقطوعة:

ـ آلو.

لكن الصوت في الجهة الأخرى لم يأت مرحاً.. فقد بدت المرأة المتكلمة متوترة متعبة، وطلبت الكلام مع تاليس.. أعطته السماعة بهدوء، ثم شغلت نفسها بمغسلة المطبخ، متمنية لو تستجمع إرادتها بألا تصغي إلى المكالمة. ولكنها لم تستطع بل راحت تصغي بسخط إلى هذا التطفل في عالمهما.

سمعت تاليس يقول: «أوه.. لا!» صوته المنخفض تحشرج. نظرت إليه من فوق كتفها، كان ظهره إليها، لكن رأسه كان منخفضاً، وكتفاه هابطتان:

ـ أيجب أن أحضر؟ حسناً، حسناً، أخبري مارلين أنني أحبها..

ذعرت جورجينا.. مارلين؟ أهي «الملاك»؟ أم أنها امرأة أخرى غير الملاك وغير زازا؟ جرها صوته المنخفض من أفكارها السوداء:

ـ أنا أفكر فيها كثيراً.. أجل.. أخبريها أنني أنفذ ما عليّ من الاتفاق.

علق السماعة ثم وقف بلا حراك يحدّق إلى الهاتف.

لمست جورجينا ذراعه مقاومة غيرتها اللاعقلانية وغير

الناضجة.

ـ تاليس..؟ ماذا جرى؟ هل أستطيع المساعدة؟

نظر إليها بعينين مبتعدتين.. ثم قال:

ـ لا.. لي صديقة مريضة، لن يستطيع أحد مساعدتها إلا إذا..

تحول شيء ما في تعابير وجهه المتجهمة، وأصبح النظر إليه مرعباً.. إنه وجه رجل تجهمه أسوأ أنواع التعابير.. الذنب.

تجاوز جورجينا وكأنها لم تكن إلى جانبه، فوقفت تنظر إليه بحيرة.. عقدة الذنب؟ كيف يكون مسؤولاً عن صحة شخص آخر؟ هل حصل له حادث سيارة؟ لكن لا.. فلو حدث شيء ما لتناولته الصحف على صفحاتها الأولى..

لكن ما كان يؤلمها أكثر، أنه وبعد نهار قضياه معاً بتقارب وود استطاع وبدون إنذار أن يخرجها من حياته. فقد أقفل الباب بثبات في وجهها، وانطوى على ذاته. لم يكن يرغب في أن يشاركه أحد بما يؤلمه، كما لم يكن يرغب في أن يقدم له أحد المواساة.. ارتجفت وهي تتذكر تعبير وجهه فقد شعرت أنه لا يشعر بها أبداً. بل بإمكانها القول إنه كان آسفاً لأنها كانت موجودة معه ولأن اليوم كله كان موجوداً.

أنبت نفسها بقسوة: أوه.. تتراءى لي الخيالات. هل هي أنانية إلى حد العجز عن التفكير في قلقه على صديقة؟ ثم، إنه لا يدين لها بشيء.. ألم يكن هذا الخطر كامناً أمامها طوال الوقت؟ ألم تكن شعرت أنها قد تقع في حبه رأساً على عقب، فيما يشعر نحوها بصداقة؟ هذه غلطتها، فقد تحركت سريعاً، وأطلقت لمشاعرها العنان.

في الأيام القليلة التالية، بدا لها أن شعورها بأنها خسرته نتيجة تلك المخابرة قد ترسخ. فلم يكن ابتعاده عنها وليد مخيلتها، لقد تغير تاليس منذ أن رد على تلك المكالمة.. لا شك في أنه يحمل حملاً كبيراً على كاهله. لكنه كذلك يقفل على نفسه بشدة في عالم لا يسمح لأحد بالدخول إليه.. كان يعمل بشكل نشيط في غرفته، وحين يراها كان ينظر إليها ساهماً وكأنه لا يعرفها. في وجهه ألم مهيمن عليه ونادراً ما انضم إليها على طعام، وإذا فعل كان يهينها بأن يأكل بسرعة دون أن يرفع بصره عن صفحات مجلة طبية رياضية. وبالطبع لم يقترح عليها تكرار الرحلة إلى ضفتهما الخاصة. شعرت بأن الرجل العطوف الذي أمضت معه ذلك اليوم قد رحل، كما رحل اليوم نفسه.

كان يأكل ويتمرّن وينام ويقوم باتصال هاتفي يومياً، وكانت جورجينا تتجنب أن تكون في أي مكان يخولها استراق «السمع» كما حدث في المرة الأولى. في إحدى المرات وبينما كانت تنزل سمعته يقول: مرحباً حبيبتي.. لكن لم تكن الكلمات هي التي استوقفتها بل الحنان الذي انبعث منه فتراجعت على أطراف أصابعها وراحت ترتقي السلالم ودموع الألم تهدد بالاندفاع.

ما كان يؤلمها أكثر أن كل ما رأته منه في هذه الأيام كان التجهم والنأي التام عنها. مع ذلك، كان اللطف والحنان اللذان طالما عرفت أنهما جزء لا يتجزأ منه موجودين، إنما لشخص آخر فقط. لا تدري لماذا شعرت بالاشمئزاز من نفسها بسبب الغيرة المقرفة الغاضبة التي تحس بها. هل يحق لها أن تغار؟ إنه لم يشجعها ولم يقل سوى أنه يجد المرح معها. وما قاله لا يُعتبر أبداً اعترافاً بحب لا يموت! ولكنها رغم ذلك كانت تشعر كلما رأته

بالتمزق بين المرارة والحنان.. المرارة لأنه ليس لها ولأنه نحّاها بسهولة عنه والحنان لأنها كانت ترغب في مسح القلق والألم عن جبينه المتغضن، وفي إزالة العبوس الدائم الوجود، الذي استقر في عينيه.

وكانت تتألم لأنه يجهد نفسه ويتعب ساقه عوضاً عن تقويتها فالعرج يبدو الآن أسوأ من ذي قبل وقسمات وجهه أصبحت رمادية من الألم.. كان حتى وهو يأكل يدلك عن غير وعي ساقه المعطوبة.

كانت تحس بمشاعر غريبة ممزوجة بين الحب والغضب... وهذا الشعور أشبه بشعور زوجة تجاه زوجها كان عليها أن تعض لسانها بقسوة لتمنع نفسها من محاولة إقناعه بأن يفعل شيئاً مختلفاً. لكن هذا ليس دورها، كانت تذكر نفسها بهذا بقسوة ثم تدير بصرها عن قسماته التي تعكس ألماً مبرحاً.

قال لها في إحدى الليالي من وراء صفحات مجلته:

ـ أنا مضطر للسفر لبضعة أيام.

ومرر لها شيكاً ثم أكمل:

ـ ومن الطبيعي أن أدفع لك المصاريف.

طوت الشيك ودسته في جيب جينزها دون أن تنظر إليه.. لقد وعت تماماً المركز الذي تحتله في حياته. إنها صاحبة نُزل، إنها مالكة المنزل. فجأة كرهت الأساس العملي لعلاقتهما.

ولكنها رغم ذلك شعرت بالراحة عندما أعلن ذلك. فالتوتر الذي يسببه وجوده، وإبعاد نفسها عنه والبكاء عليه بدأ يأخذ منها مأخذه.. ودت لو كانت لديها الشجاعة لتطلب منه الرحيل إلى الأبد، لكنها لم تستطع. فهي تفضل الألم على أن يرحل إلى

الأبد.

كانت تأمل أن يرجع من جديد على أن يعود كما كان في الصباح الذي وصل إلى منزلها وكما كان في ذلك اليوم الذي أمضياه على ضفة النهر. وكانت تأمل أن تشعر بعد إجازة تقضيها بعيداً عن وجوده العامر بأن مشاعرها كانت كمشاعر طفلة سخيفة وأن بإمكانها انتزاع نفسها من حبه.

في الواقع وجدت نفسها على عكس ما أقنعت نفسها به، فأثناء غيابه أحست بتوق غامر إليه. فاضطرت للاعتراف بأنها تفضل أن يكون هنا، نكداً مشاكساً غير مبال بها على أن تحرم منه.

مضى على غيابه ثلاثة أيام.. وحين عاد، بدا أسوأ حالاً عما كان، فعيناه يدغشهما الألم وفمه تلويه خطوط التجهم. نظر إليها حين وصل إلى الباب ولم يشعر أنها ألقت عليه التحية بشوق مرتجف.

قال لها:

ـ أيمكن أن تتأكدي من ألا يزعجني أحد في الأيام القادمة التالية؟

نظرت إليه بسخط.. ماذا يظنها؟ خادمة فندق؟ من هي؟ البوابة؟ أوه سيد واند.. أرجوك امسح حذاءك في قلبي؟ ماذا يعني بالضبط؟ أتمنع عنه الاتصالات؟ أتخفض صوت الراديو؟ أتبعد سنوكل عن باب غرفته؟ أم أنه يعني أن تبتعد هي عن طريقه، أنت جورجينا بارتون، يا مالكة النُزل؟

أجابت بسخرية باردة:

ـ حاضر سيدي.

بدا مذعوراً هنيهة لكنه لم يلبث أن هزَّ رأسه بقلق وكأن سخريتها أمراً آخر زاد من ثقل حمله.. تفرست فيه.. كيف يجرؤ على أن يجعلها تشعر بالذنب؟.

أغرتها نفسها بأن تعرضه للمضايقات بقدر المستطاع، ولكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع. لأنها شعرت به يطلب منها مساعدته.. وهذا ما ستفعل.. وبناء عليه ستلغي موعدها الأسبوعي مع أعضاء جمعية أصدقاء التاريخ.

ولكن، بعد ظهر يوم الأربعاء دوى صدى مقبض الباب القديم وتمادى في كل المنزل.. فهرعت جورجينا التي كانت تعتني بالحديقة الخلفية، نحو المقدمة.. كانت السيدة باركنز والآنسة دورشتر تقفان أمام مدخل بابها مرتديتين فستانين ملونين تلوحان لها وتلقيان عليها التحيات المرحة، فتمتمت: أوه.. لا!

فبعد عشر دقائق ستصل عشر نسوة أخريات، وستحضر السيدة كوستنر أحفادها معها. وستقول: «ضعيهما في الفناء الخلفي عزيزتي وهناك سيكونان على ما يرام».

وهذا ما حدث فعلاً. فقد رمت الولدين في الفناء الخلفي مع سنوكل، الذي كان يستقبل ضيوفها بحماس جياش محدثاً أكثر من صرخة خوف على الجوارب التي قد تتمزق. وسرعان ما راح الولدان يصيحان بمرح كما راح الكلب يعوي، والسيدات يغنين أغنية الافتتاح، ووعاء الشاي يصفر فوق الموقد.. ووقفت جورجينا تصغي إلى أي صوت ينم عن الحياة من غرفة تاليس ولكنها لم تسمع شيئاً. وهذا يعني أن الصدمة جعلته يلزم الصمت. وهزت كتفيها. حسناً.. لقد فعلت المستحيل لتوفر له الهدوء والصمت، ولكنها ملت من التجول على أطراف أصابعها.

ومع أنها نادراً ما تحضر مثل هذه الاجتماعات، إلا أنها تتمتع بزوارها، خاصة عندما تتعالى الضحكات الصادرة كلما اجتمعن.

فجأة، أحست بذراع قوية تلتف حول خصرها، وبصوت خشن يداعب أذنها:

- يبدو أن لديك جماعة من أوز ضاحكة جورجينا. يا إلهي! ما هذا الصخب!

ابتعد عنها ليأخذ لنفسه حفنة من السندويشات التي كانت تحضرها لهن، ولكنه لم يع أنه بهذا قد أفسد ترتيب الطبق المحضر بأناقة. وقالت له:

- إن أعضاء جمعية أصدقاء التاريخ يجتمعون كل خمسة عشر يوماً هنا.

- أما كان بإمكانك تحذيري؟ كنت سأخطط لقضاء ظهيرة هادئة في حفلة «روك» موسيقية. ثم، ماذا لو تعرفت إليّ إحداهن؟ يا إلهي جورجينا، سيصل الخبر إلى الصحافة في أقل من...

إنه للمرة الأولى يتصرف تصرف رياضي متكبر شهير وهذا ما أغضبها. كانت تظن أنها تحب هذا الإنسان المغرور المعجب بنفسه.. كانت تتجول في منزلها على أطراف أصابعها لئلا تزعج مزاجه المشفق على نفسه.. وباسم الحب؟ هاه! إنه فعل انهزام أن تحب شخصاً لا يبادلك الحب... وتاليس واند لا يختلف البتة عن أي نجم لعين أناني لا يحب سوى نفسه.

قالت له بغيظ وعيناها باردتان:

- اسمع يا صاحب الشخصية العظيمة... ما من أحد هنا سيتعرف إلى شخصيتك المرموقة المملة. صدق أو لا تصدق أن هناك في هذا العالم من لا يتأثر بكرة القدم ومن لا يعرف حتى أن

لها وجوداً وهذا النوع بالضبط هم الذين أستقبلهم في بيتي. والمرة الوحيدة التي لم أفعل، عشت لأندم.

خطا نحوها خطوة:

ـ جورجينا..

غادر التحفظ المتباعد عينيه وحل محله الندم. ولكنها أبت أن تتأثر بهذه النظرة فصاحت به تستدير مبتعدة:

ـ اذهب إلى الجحيم!

ـ سيد واند؟ أوه.. يا إلهي هذا أنت!

تسمّرت جورجينا في مكانها ثم نقلت عينان دهشتان إلى السيدة باركنز، التي دخلت لتوها إلى المطبخ والتي راحت تحدق إلى تاليس بعينين ملؤهما الإعجاب فنظر تاليس إلى جورجينا وكأنه يقول: ألم أقل لك؟ خشيت لبرهة أن يصد بعجرفته المعجبة به، كما يصد الصحافة وإن جرح أحاسيس السيدة باركنز العجوز فستكرهه في الواقع، إنها الآن على الطريق إلى كرهه.

لكنه أصلح الوضع بأن استدار إلى السيدة بابتسامة فاتنة.. فسألته المرأة بأنفاس مقطوعة:

ـ أتذكرني؟

نظر إليها بحذر، ثم اعتذر بلطف:

ـ أنا آسف، ألتقي بالكثير..

ـ حدث هذا قبل عام في مباراة النصف نهائي بينكم وبين فريق «الرايدر». يومذاك سافرت وزوجي لمشاهدة المباراة.. كان ابن عمه بارت «الستاديوم» وقد التقيناك بعد المباراة وحينها وقعت على مفكرتي.

بدا تاليس حقيقة منزعجاً لأنه لم يستطع أن يتذكرها خاصة

وأن لقاءها به يعني الكثير لها. فقالت له بحبور وهي تنظر إليه بحذر:

ـ أوه.. حسناً.. الأمر لا يهم.. كيف حال ساقك؟

ـ أنا أعمل على شفائها.. وأرجو أن أعود إلى اللعب في الخريف. لكن هذا سرّ.

شهقت جورجينا.. كيف يقول هذا؟ لا يمكن أن يعني ما يقول؟ لا يمكن! يا الله! الرجل ما زال غير قادر على السير السوي. والطريقة الوحيدة التي قد تخوله العودة إلى الملعب هي بحقن نفسه بعدة حقن قاتلة للألم أولاً. ألا يعرف أن ساقه قد تظلّ معطوبة إذا مضى في غيّه وأصرّ على العودة إلى الملعب وجرحه على هذه الحال؟ كيف سيتمكن من الركض؟ كيف يمكنه تعريض ساقه إلى عذاب مجحف وضغط لا يرحم مدة ساعتين متواصلتين من اللعب؟ أرادت أن تقتله بسبب نظرته غير الواقعية هذه لحدوده.. لا.. لا أن تقتله، بل أن تحبه.. تحبه حباً يقنعه بأنه من غير المهم أبداً العودة إلى الملعب.

أكدت له السيدة باركنز: «سرّك آمن معي».

بروز ذقنها إلى الأمام بحدة، تحذير واضح لأي شخص قد يحاول استخلاص هذا السرّ منها.. وأكملت:

ـ في الواقع لن أخبر أحداً أنني رأيتك هنا سيد واند. فرجال الصحافة شياطين، ولن أثق حتى بأعز صديقة فقد يزلّ لسانها. يا إلهي، كدت أجن حين نشروا صورتك في المستشفى. هناك حدود لما يحق للناس أن يعرفوه، وقد كانت تلك الصورة أبعد من الحدود. راسلت رئيس تحرير صحيفتنا المحلية وقلت له رأيي هذا ثم راسلته ثانية في الأسبوع الماضي حين عرفت أن الصورة

www.elromancia.com

مرشحة لجائزة صحافية.. مجرمون!

نظرت جورجينا إلى تاليس بذهول.. أوه.. لا! لا يمكن أن تعني تلك الصورة التي يظهر فيها وهو يبكي ألماً.. أحست بغصة إشفاق تتصاعد إلى حنجرتها بسبب نظرة الغضب العاجز التي بدت على وجهه، إنه ليس بحاجة في الوقت الحاضر إلى ما يزيد همومه.. أحست أنها تريد حمايته بقوة كما تحمي الدبة الأم وليدها..

ـ حسناً.. أشكر لك دعمك سيدتي.. أقدّر لك هذا كثيراً.

فجأة، بدا أن السيدة تذكرت أنهم يقفون في المطبخ وفي منزل جورجينا، فاتسعت عيناها وتحركتا من تاليس إلى جورجينا بتساؤل كبير. فابتسمت جورجينا لها بجرأة، لقد حاولت منذ زمن إخفاء صلتها بعائلة أفرادها جميعهم من أعضاء كرة القدم وستكون ملعونة الآن إن ذكرت شيئاً لا لسبب إلا لتفسير وجود تاليس في منزلها، خاصة أمام معجبة قديمة وثابتة لكرة القدم! إنها مقبولة، محترمة، ومحبوبة في هذا المجتمع لشخصها ولن تسمح لهذا الواقع بأن يتغير.. ولن تعود مرة أخرى أخت نيوتن ولاري بارتون الصغيرة، عوضاً عن أن تكون هي نفسها. سألت بنعومة:

ـ ألا تنتظر السيدات الشاي؟

أجابت السيدة باركنز، وخيبة الأمل بارزة على وجهها:

ـ أوه.. أعتقد هذا.. ما أروع اللقاء بك من جديد سيد واند.

ابتسم لها تلك الابتسامة التي تجعل النساء يمتن من أجل فرصة لرمي أنفسهن عليه... وغادرت السيدة باركنز المطبخ، فعقدت جورجينا ذراعيها واتجهت إلى النافذة، وقالت محذرة:

ـ لا تتجرأ أبداً على قول: قلت لك هذا!

تقدم إلى جانبها:

ـ وهل أفعل شيئاً كهذا؟

أخذا يراقبان بصمت الولدين يهدران في الفناء الخلفي في ملاحقة سنوكل.. كان ابن الرابعة من عمره يحاول إخضاع الكلب برميه بالحجارة... فعبس تاليس:

ـ ذلك الشيطان العفن الصغير..! ألم يعلمه أحد احترام الحيوانات؟ حسناً.. ربما لو خرجت إليه، ومددته على ركبتي..

وضعت يداً على ذراعه تمنعه:

ـ أنظر.. سنوكل قادر على التصرف مع الأولاد.

وكان هذا مؤكداً.. فسرعان ما نفد سنوكل صبره مع الصبي، وتوقف عن الجري، فتعثر الصبي بجسد الكلب ووقع.. تقدم منه سنوكل يشم ضحيته مرة، ثم لعق وجهه، وجلس باطمئنان فوقه.

انفجر تاليس ضاحكاً.. ضحكته تلك لامست عمودها الفقري فأشعرتها بالدفء، وكأن شعاعاً من شمس الصيف اخترق برد الشتاء.

ـ قسماً يا جورجينا أن هذا الكلب بدأ يؤثر فيّ.

ـ أوه..

وصمتت.. يا الله! إنها تغار من فتاة مجهولة، رأت صورتها في إطار بني ومن زازا كاندل ومن مارلين، ومن المخابرات الهاتفية الغامضة، والآن من كلبها! هذا الرجل قادر على أن يتسلل بسهولة إلى كيانها كله.

أصغى تاليس مرة أخرى إلى أصوات النسوة الجالسات وقال ساخراً:

ـ لا أسمع الكثير من النقاش التاريخي.

ـ في الواقع، لقد حققن ما يكفي.. مع أنني لاحظت أن العمل بالنسبة لهن يأتي في آخر لائحة اهتمامهن فهن يؤجلن مواضيع العمل إلى آخر ربع ساعة من اللقاء.

ـ ولماذا يجتمعن هنا؟

ـ لأن هذا المنزل أكثر المنازل قيمة تاريخية في المنطقة... ولقد انتقلت الأخبار بسرعة حين بدأت أرممه بالحفاظ عليه لا بتحديثه. وأعتقد أنهن افترضن أنني قد أتعاطف مع قضيتهن.. وكن على حق.

ـ وما هو تاريخ هذا المنزل؟

بدا واضحاً أنه يرغب في قتل الوقت حتى ترحل «الأوزات الضاحكات» فيعود عندئذ إلى تعذيب نفسه بهدوء.

وترددت ثم غلبها اهتمامها بالموضوع:

ـ حسناً.. بُني المنزل في عام ١٨٧٦ م، فحين أقول إن له قيمة تاريخية أقصد بذلك هندسته وخشبه المحفور، الأساسات وما إلى ذلك.. لم يسكن فيه أي إنسان شهير، في الواقع، من بنى هذا المنزل لم يشارك كثيراً في تاريخ المنطقة... كان جون سيتون مزارع بسيط يملك كل الأرض التي تراها. وقد ظلّ أعزب حتى أواخر الثلاثين من عمره وقد عاش خلال تلك الفترة حياة بسيطة في كوخ خشبي مؤلف من غرفة واحدة وهذا الكوخ ما يزال على تلك التلة وراءنا.. ثم تسللت إلى حياته المملة كاتي باتندر وهي زائرة من انكلترا. كان قد التقى بها في مناسبة اجتماعية عامة، فاستحوذ عليه حبها. تقول القصة إنه افتتن بعد رقصة واحدة معها. وطلبها للزواج في الليلة نفسها وقال لها إن المنزل

الذي سيبنيه لها سيكون بمثابة نُصب لحبهما.

تأوه تاليس:

ـ أوه.. لا.. كيف لا تكون لهذه البداية الرومانسية نهاية حزينة؟

ابتسمت جورجينا ابتسامة حنونة:

ـ أنت ساخر.. وهذا ما جعلني أقع في حب هذا المنزل. لم تكن للقصة نهاية حزينة بل وجدت أنهما عاشا عيشة غرامية رائعة ظلت حتى مات جون عن عمر يناهز الثانية والثمانين.. ولحقت به كاتي بعد وقت قصير.. وخلال فترة زواجهما أنجبا سبعة أولاد وما يزال له في هذه المنطقة ثلاثة وثلاثين حفيداً، وأكثر من مئة حفيد حفيد... ولقد تحدثت إلى بعض أقارب جون وكاتي فحدثوني عن ذلك الحب الذي جمعهما وقد قالوا إن الحب ما يزال حياً يتردد صداه في المنزل.. كما أخبروني أن أثاث غرفة الجلوس كان يدفع إلى الوراء، لإفساح مكان لحفلات الرقص، ودعوات العشاء العائلية الفخمة، وللبقاء في المنزل ليلاً، والتسلل من نوافذ الطابق العلوي إلى الخارج.

تنهدت حالمة:

ـ إنه تاريخ حيّ. هذا المنزل ليس منزل معدوماً من الحياة.. إنه حيّ، بطريقة ما، ينتظر كتابة الفصل التالي من تاريخه.

كان تاليس ينظر إليها بعينين كئيبتين.

ـ لماذا لا تعترفين بالحقيقة جورجينا؟

شهقت: «أعترف بماذا؟».

ـ اعترفي أنك لم تشتري هذا المنزل لتحوليه إلى نزل وأنك لم تشتريه بسبب اهتمامك بتاريخه.

همست بذهول: «عمّ تتحدّث؟».

ـ اشتريته لأنك ترغبين في جزء من سحره. لقد أحسست بالحب فيه حالما ولجت بابه.. والآن.. أنت بحاجة إلى شخص يلعب دور جون... صحيح جورجينا؟ تريدين كتابة الفصل التالي بنفسك، ولكنك تعرفين أن هذا المنزل لن يكون كاملاً أبداً بدون نصف دزينة من الأولاد الذين يزرعون فيه أجسادهم. أليس هذا ما اشتريته جورجينا؟ اشتريت الأمل بهذا النوع من العائلة التي لم تعرفيها قط؟.

ردت بسخط حقيقي:

ـ هذا كلام سخيف..! لماذا تفعل هذا؟ لماذا تختلق القصص الخرافية الحمقاء؟ لماذا أنت قاس إلى هذا الحد؟.

ـ قاسٍ؟ آسف جورجينا.. أنا متوتر الأعصاب ولم أقصد أن أنفث توتري عليك.

قالت بغضب:

ـ حسناً.. هذا غير صحيح. لم تقل كلمة صحيحة.

لكنها كانت تكبح دموعها لأن ما ذكره صحيح. والحقيقة كانت أصعب من أن تتقبلها، لأنها لم تعترف بها لنفسها قط.. لا.. لقد صدقت ما أطلقته من ادعاءات. لقد ظنت أنها تصلح هذه الغرف، بصبر وأناة لنفسها فقط، ولمتعتها الخاصة... وأنها أحبت العيش بمفردها.. وأن عملها يستأثر بكل اهتماماتها، وأن عائلتها مؤلفة من الأولاد الذين يكتبون لها أكواماً وأكواماً من رسائل المحبة كل شهر.

أوه.. لكن.. كان هناك دائماً أشباح صغيرة تتلاعب في ظلال تفكيرها الخلفية، أشباح صغيرة يكسوها اللحم، أشباح ذات

خدود وردية وشعر جميل. أجل.. أشباح تتصايح بمرح وهي تنزلق فوق الدرابزين!

كيف اكتشف حلمها السرّي الذي كانت ترعاه وتخبئه.. حتى عن نفسها؟ ولماذا أحس به، أحس كذلك بالاندفاع ليقوله؟ هل وجد أن عزلتها مع كلب صغير أمر مثير للشفقة؟ وهل كانت هذه الشفقة الدافع الذي جعله يواجهها بالحقيقة؟

استعادت اتزانها بصعوبة، ونظرت إليه ببرود:

ـ وهل هناك فرق عندك لما أخططه لهذا المنزل؟ وما العيب إن غرقت في أحلام ينسجها خيالي من حين إلى آخر؟.. بل ما الفرق عندك حتى لو كنت أدير عملاً غير شرعي؟ هذه حياتي.. سيد تاليس واند.. ولم أطلب منك يوماً مشاركتي فيها... فما بالك بأن أطلب منك إبداء الإعجاب بها؟

ـ موافق.. على فكرة جورجينا.. أين تخبئين جهاز التلفزيون؟

هكذا بكل وقاحة! يتطفل على حياتها الخاصة ثم وبدون أن يظهر أقل اكتراث بمشاعرها يغير الموضوع.. ردت بتجهم:

ـ لا أملك جهازاً، لأنني شعرت أنه لا ينقل سوى السخافات!

لم تبال إن كان قولها يظهرها كمعلمة عانس متقدمة في السن.. فهذا بالضبط ما هي عليه! ولا تدين بالاعتذار لأحد على هذا الواقع.

نظر إليها تاليس بأسى:

ـ ستظهر أهم مباراة في هذا الموسم الليلة!

ـ عظيم..! اذهب إلى المقهى وشاهدها! وتمتع بحب المعجبين! فقد يحسن هذا من مزاجك!

فجأة، تحركت يده إلى صدغه بألم وقلق. وقال بصوت منخفض:

- أنا آسف.. لم أكن أعلم أنني أفرض مزاجي عليك، ولا أدري ما دهاني.

اللعنة عليه! لقد بدأت تنجح في إقناع نفسها بأنها تكرهه، كما بدأ يثبت عندها أن من العسير العيش معه وأن الوقت قد حان لافتراقهما.

وها هي ترى هشاشته وضعفه المؤلمين مرة أخرى، ترى ألمه، والحمل الكامن على كاهله. صاحت في نفسها بحدة: اسمح لي بالدخول إلى نفسك أو أخرج من حياتي.. لكنها قالت بصوت مرتفع:

- استأجر تلفاز من بلدة «سولمون آرم» على أن تشتري معه سمّاعات خاصة، وإلا، فقسماً بالله تاليس واند، سأرمي الجهاز من النافذة عند سماعي أول صيحة خلال مشاهدة كرة القدم.

رد باتزان:

- أنا موقن أنك قد ترمينه حقاً!

وارتدّ على عقبيه منصرفاً وكان عرجه بيّناً.

* * *

٧ - هل تبوح بأسرارها؟

انزعجت جورجينا من رنين جرس الهاتف الذي تعالى في منتصف الليل فظنت أن الاتصال وقع خطأ أو أنه يحمل أخباراً سيئة. مدت يدها إلى الجهاز قرب سريرها، تأمل أن يكون المتكلم مخطئاً بالرقم، ونظرت إلى الساعة فإذا هي الثالثة وخمس دقائق.

- آلو؟

- مخابرة خارجية للسيد تاليس واند.

نظرت بعبوس إلى السماعة.. هل قرر زملاؤه من لاعبي كرة القدم أن يتصلوا به لمناقشة مجد الماضي؟ لكن، ليس من حقها أن تخفي عنه مكالماته، فقد تكون مهمة.

- هل لي أن أعرف اسم المتصل؟

- نيكول غاربك.

لم يكن الصوت الذي أجاب عن سؤالها صوت عاملة الهاتف بل صوتاً ناضجاً يضجّ بالدفء والحيوية، بحيث لا يمكن لجورجينا أن تخطىء في تصور صاحبته.. هه! الملاك صاحبة الصورة، مارلين، زازا، والآن نيكول!

لقد أحسنت صنيعاً عندما قررت أن تكرهه لأنها لو لم تفعل

www.elromancia.com

ذلك لكانت الآن تشعر بالسقم من الغيرة التي كانت ستبرز أنيابها لسماعها الصوت المثير لهذه المرأة التي يبدو أن لها دوراً مهماً في حياته.. ارتدت روبها بحدة وغضب.. كيف تجرؤ صديقاته على الاتصال به في منتصف الليل؟ بل كيف ترضى هي أن توقظه عوضاً عن أن تقول لصاحبة الصوت المغري كم الساعة الآن، وتقفل الخط في وجهها.. آه.. لكن تصرفاً كهذا سيرى فيه تاليس واند غيرة قاتلة وهي أبداً لن تتركه يعتقد أنها قد تغار عليه.

قرعت بابه، وكادت تقع عليه حين فتحه فجأة ووقف ينظر إليها بتساؤل ونفاذ صبر.. كان شعره أشعث من النوم، ولم يكن يرتدي سوى بنطلون بيجاما قصير رمادي اللون. فبدأ الاحمرار الناري يغزو عنقها فوجهها.

- من الأفضل أن يكون عذرك مقبولاً، فقد تجاوز الوقت منتصف الليل.

هي قادرة على الاعتذار مدعية أنها سمعت أصواتاً، ثم تعود إلى غرفتها لتقفل الخط في وجه صاحبة الصوت المغري.. وهذا بالفعل ما ترغب فيه.. على أي حال! لكنها ردت بحدة:

- قل هذا لصديقتك! لك مخابرة هاتفية.

أدارت ظهرها له وعادت إلى غرفتها حيث صفقت الباب. لكنها لم تسمع الصوت المرتفع الذي يرضيها، لأن يداً قوية اعترضت فعلها وقام صاحب اليد بسؤالها:

- هل هذا هو الهاتف الوحيد هنا؟

- أجل.. لكن...

تجاوزها ليجلس على حافة سريرها.

التقط السماعة قائلاً:

- لا تمانعين.. أليس كذلك؟

لم ينتظر ردها وأكمل:

- آلو..؟ نيكول! كم الساعة؟.. بعد الثالثة! أنسيت فرق التوقيت؟.. لا يهم.. أفهم من نبرة صوتك أن الأخبار جيدة.

لا يهم! نظرت جورجينا إليه بكره علماً أنه مشغول بالمخابرة. سارت شامخة الرأس إلى جهة السرير الأخرى ثم خلعت الروب، واندست تحت الأغطية وكأنها تقول إنه لا يزعجها، اضطجعت على جنبها، فأعطت بذلك ظهرها إليه.

كانت المكالمة قصيرة، وهذا ما لم يرضها. أقفل الخط، فتظاهرت بالنوم ولكن عندما لم يبتعد عن السرير نظرت إليه فرأته يدلك ساقه:

- آسف جورجينا.. سأتركك بعد دقيقة. يبدو أنني أتعبتها مرة أخرى.. اللعنة!

تلاشى غضبها ونظرت إليه باهتمام.. لاحظت أن المخابرة رغم ألمه قد أفادته كثيراً، ويبدو أنها رفعت جزءاً كبيراً من الحمل الرازح على كاهله، فللمرة الأولى منذ أيام ترى جبينه بدون تغضنات.

فكرت أن تعرض عليه تدليك ساقه، ثم صرفت النظر عن تهورها.. أهي مجنونة؟ لتاليس واند قوة خطيرة في منزلها فكيف ستكون هذه القوة وهو على سريرها.

- عودي إلى النوم جورجينا، سأكون على ما يرام بعد دقيقة.

استدارت، وأغمضت عينيها بشدة.. ولكن محاولاتها باءت بالفشل فهي تعرف نِعم المعرفة أنها لن تتمكن من النوم وذلك الرجل الرائع على بعد ذراع منها.

ظلت بضع دقائق جامدة لا تتحرك ولكن عضلاتها راحت ببطء تسترخي.. كانت تشعر بأن الثقل الموجود على حافة فراشها يهدىء أعصابها. إن قربه منها جعلها تحس بالأمان والطمأنينة..

أيقظتها أشعة الشمس المشرقة التي انصبت من خلال النوافذ الزجاجية على غرفتها. كان نسيم صباحي بارد يتنهد ويتلاعب بالستائر الحريرية.. دست نفسها أكثر في دفء الفراش، وشعرت بالاكتفاء والرضى خاصة عندما لفت ذراعيها بقوة أكثر حول...

فتحت عينيها مذعورة فاغرة الفم. ثم أدارت رأسها بحذر فإذا بها تواجه صدر رجل أدركت أن ذراعيها كانت تلتفان برضى على خصره، فصاحت تنتزع ذراعيها:

- تاليس واند! استيقظ على الفور.. أيها.. أيها.. أيها النذل! أيها الشرير الخبيث الفاسد! أيها المختلس...

تمتم تاليس وهو غارق في النوم، ثم استدار متنهداً في شعرها، ولم يلبث أن لف ذراعه حولها.. فقاومت الإغراء في أن تدس نفسها به، وتعود إلى النوم لبضع دقائق.. أو تتظاهر بالنوم لتنعم بدفئه وبرائحته.

صاحت مذعورة: «تاليس واند».

فتح عينيه الناعستين اللتين سجلتا دهشة سعيدة، وقال بصوت أجش:

- يا إلهي! ما أجملك في الصباح.

مد يده يمررها فوق خصلة شعر عسلية فتمتمت من بين أسنان مطبقة:

- ماذا تفعل في سريري؟

بدا مذهولاً، ثم عبس مركزاً:

- أوه.. يا رباه!

رفع ذراعه عنها ثم استلقى على ظهره، وذراعه الأخرى على جبينه.

- كنت أدلك ساقي.. ويبدو أنني غفوت.

استرق النظر إلى ما تحت الأغطية، ثم ابتسم بخجل:

- لا بأس.. لباسي محتشم.

- رائع..

مهما كان قد أحس بالذنب، فقد تناساه وأخذ ينظر إلى ما حوله في الغرفة باهتمام.. وكأنه لا يدرك أنها تزداد قلقاً وهي تستلقي هنا بعيدة عنه رافعة غطاء سريرها الصوفي المصنوع يدوياً حتى ذقنها.. سألها بحماس فيما كان ينظر إلى خزانة أدراجها:

- إنها من خشب الكرز البري.. أليست كذلك!

أسند نفسه إلى مرفقه ليتلمس حافة السرير وراءه:

- قوائم السرير حفر يدوي؟

تلاشى شيء ما من قلقها على الرغم من وجود هذه العضلات المفتولة الكتفين العريضتين في سريرها.

- إنه من خشب الكرز البري.. اشتريته من امرأة قالت إن جد جدها الأكبر حفره في ريف «فرجينيا الغربية».. لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة وكان يعيش في فقر مدقع، يحاول اكتساب معيشته من سفوح الجبال الصخرية.. ولكن لا يهم ما حدث بل المهم أنك حين تنظر إلى هذه القطعة ترى روح «الارتيزانا» والإبداع التي كانت بدون أدنى شك في قلب ذاك الرجل الحافلة حياته بالإحباط.

- أستطيع تصوره.. إنه ضخم كشجرة سنديان، له يدان

كبيرتان مليئتان بالندوب. ولكنهما في الوقت ذاته تملكان الرقة.

بقيا دقائق يتأملان الأثاث، يتأملان عمل رجل مجهول عاش في وقت وعالم مختلفين.

ثم نظر تاليس إليها وفي وجهه تصميم:

ـ نحس أنا وأنت بالأشياء نفسها جورجينا.. لم أختبر مثل هذا الإحساس من قبل.

تورَّد وجهها، وغضبت من نفسها بسبب شعورها بخجل ابنة السادسة عشرة.. ولكن الأمر لن يتعدى أن يكون كما كان في المرة الماضية. فسرعان ما ستصبح بالنسبة له «المرح» لا أكثر ولا أقل. إنها ملاحظة لم تكن تعني شيئاً له، ولكنها كانت مستعدة من أجلها مرة أخرى أن تبدأ ببناء القصور.

ـ كيف عرفت أن هذا خشب كرز بري؟ أعتقد أن واحداً بالمئة يعرف هذا.. فكيف صدف أنك هذا الواحد؟

ـ أنت قد لا ترغبين في سماع قصة حياتي جورجينا.

لكنها ترغب.. إنها لا تعرف عنه إلا شهرته العالمية، ترى ماذا رشح عن حياته في طفولته وهو صغير؟ إنها لا تعرف من أين هو أصلاً، وكيف كان في طفولته؟ وما هي المغامرات والشرور التي أنضجته وجعلته شخصية قوية كما هو الآن؟ وما هي خلفيته الاجتماعية التي أغدقت عليه هذه الثقة بالنفس النادرة التي تركته لا يمس تقريباً والتي جعلت الشهرة لا تغيره؟ هذه الشهرة التي تؤثر مباشرة في رؤوس كل الرجال! قالت بلهجة من لا يجد ما يلهي نفسه إلا بهذا.

ـ أعتقد أنني أرحب بسماع قصة حياتك.

ـ حسناً.. سأبوح لك بأسراري.. على شرط.

سرعان ما اعتلت مركز الدفاع.. سيطلب منها الحفاظ على قصته طي الكتمان! وكأنها ستذهب راكضة إلى الصحافة! كيف يجرؤ على عدم إظهار بعض الثقة بها؟ أرادت أن تزجره وأن تضربه على رأسه وتدفعه خارج سريرها وتحمله إلى النافذة وترميه منها... ومن يرغب في سماع قصة حياته الحمقاء على أي حال؟

ـ إن قصصت عليك قصة حياتي فعليك أن تقصي علي قصة حياتك.

كان طلبه يختلف كل الاختلاف عما صورته لها نفسها فدهشت وقالت:

ـ ظننتك ستطلب مني توقيع معاهدة صمت.. بالدم.

بدا دهشاً ولكنه سرعان ما أمسك ذقنها ونظر إلى عينيها مبتسماً:

ـ لا داعي إلى هذا الطلب، فلا أراك ثرثارة.. كما أنك حين تسمعين قصتي ستفهمين وأعرف، بطريقة ما، أنك لا تستطيعين أذيتي جورجينا.

أحست بلونها يشحب تحت ثقل نظرته.. يا الله! إنه يعرف إذن! أيعرف كم تحبه؟ هل الأمر واضح؟ واضح إلى درجة أن ينظر إليها ويعلن بثقة مطلقة أنه يعرف أنها لن تتمكن من أذيته؟

فكرت في أن من الحكمة في هذه اللحظة أن تتمنع عن زعزعة غروره بالقول له إنها غير مهتمة البتة بسماع قصة حياته، وبرفسه ليخرج من سريرها، ومن غرفتها، ومن حياتها... وكان أن اختارت الحكمة فعقدت ذراعيها على صدرها وقالت بثبات: «تفضل».

ـ حسناً.. سبق ان قلت لك ان والدي من المهاجرين..

صحيح؟ جاء إلى بولندا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.

ـ لكن واند ليس اسماً بولندياً.

ـ لقد غير اسم العائلة كمئات المهاجرين.. كان اسماً طويلاً، فغيره لهما موظف الهجرة بنفاذ صبر.. كان الاسم...

ولفظ اسماً طويلاً لا يمكن لفظه.. فقالت، وكأنها تتعاطف مع الموظف النافذ الصبر:

ـ أووه.

ـ على أي حال، كان والدي صانع مفروشات ماهر.. أسس صناعة صغيرة لم تنجح كثيراً.. ربما لأنه كان يصر على النوعية والمهارة في كل قطعة يصنعها.. أذكره وهو جالس على طاولة عمله، حيث تعبق روائح الخشب الجيد والطلاء. كنت أحب المكوث في دكانه.. وكانت رؤية قطعة خشب تتولد فيها الحياة، أمراً سحرياً. لكن معظم ما أعرفه عن الخشب جاء عن طريق مراقبة عمله، فهو لم يشجعني إطلاقاً على الاهتمام بتجارته.

ـ وهذا تصرف يختلف عن تصرف جميع الآباء.

لقد بدأ شقيقاها يرميان الكرة ويركلانها وهما رضيعين.

ـ ربما كان مختلفاً عن معظم الآباء في أميركا الشمالية. أترين، لم يكن يحس أنه جاء إلى أرض الفرص والثروة ليربي صانع مفروشات. كان لا يكاد يعرف القراءة والكتابة، وكان يخجل من بساطته.. أراد أكثر من هذا لعائلته.. فمال إلى التعليم، ربما لأن الظروف لم تسمح له ولأمي بتلقي العلم. لقد قدما إلى أميركا ليوفرا لأولادهما حياة غنية بالعلم وكانا يعتبران العلم الهدف الوحيد الذي يستحق أن يكون للإنسان حرية في اختياره.

هزت رأسها بإعجاب، فتابع:

ـ صحيح.. لقد حققت شقيقتاي أغلى آمال والديَّ وطموحهما في العالم الجديد.. فإحداهما طبيبة والأخرى عازفة بيانو.. أما أنا.. حسناً.. لست غبياً، لكنني أحببت الأعمال الحرفية. ربما كنت سأصبح نجاراً ماهراً فيما لو منحني أبي بعض التشجيع ولكني رحت أجني رزقي ـ وهذا ما أرعبهما ـ من أكثر الوسائل تفاهة وعدم جدوى.

قالت متأثرة بشفقتها:

ـ أوه.. تاليس.

ـ إنها كلماتهما لا كلماتي، لأنني فخور بما أعمله. لأنني بارع فيه ولأنني أحبه. فلقد سلبت الملايين من الناس. وتمكنت من التعايش مع واقع أن والديَّ لا يفهمان هذه الميزة في أميركا.

حاولت أن تكون لبقة:

ـ إذا كنت فخوراً إلى هذا الحد بعملك، فلماذا تحرّم العلنية على نفسك؟

ـ ربما لأنني لم أستطع تماماً التخلص من وجهة نظر والدي مع أنني أظن أن السبب الفعلي هو عدم رغبتي في إعلان ما يخصني. كنت أعرف منذ البداية أنني إن استسلمت لضغط الصحافة بالكشف عن أشياء صغيرة من حياتي الخاصة فسأفقد جزءاً من نفسي. حين أكون في الملعب أصبح ملكاً للعموم، أما في الأوقات الأخرى فأنا ملك نفسي.

ابتسم ساخراً من نفسه وأكمل.

ـ أعتقد أن هناك شيئاً من العالم القديم في نفسي. وللأسف لا أستطيع القيام بشيء في هذا الخصوص. أظن أننا نختار الأبطال

بناء على مقاييس خاطئة.. فوالدي نجار ماهر وهو أفضل مني بكثير ولكني أشهر لاعب كرة... ستحبين حرفته جورجينا، فالخشب يعود حياً تحت لمسته، يصبح قطعة تشرق حيوية وحياة بشكل غير طبيعي. لكن، ما من أحد سيذكر اسمه على صفحات المجلات الأولى لأجل هذا.. ولن يكون أبداً من المشاهير.. وهذا حال كل الصناعيين أما أنا فمشهور لمجرد براعتي في التعاطي مع الكرة والركض بسرعة.. وهذا لا يتناسب مع ذاك.. ولأنني لا أعير اهتماماً لطريقة الأمريكيين في انتقاء أبطالهم أعتقد أنني اخترت ألا أكون بطلاً.

قالت بلطف: «لا يمكنك أن تختار ذلك».

ـ لكن بإمكاني التجربة.. على الأقل أنا لا أستغل ما يسمى بالشهرة لبيع الحلويات للأولاد.. والآن كفانا حديث عن نفسي. أريد سماع قصتك، أريد معرفة كل شيء يتعلق بك.

وضع وسادة خلف ظهره وطوى ذراعيه على صدره، ينظر إليها مترقباً!

أوه.. يا الله! إنها لم توافق حقاً على هذه اللعبة.. هل وافقت؟

ـ ليس هناك الكثير الذي أطلعك عليه تاليس ولا أعتقد أن ما سأقوله قد يثير اهتمامك. كما أنني أريد أن أنهض من سريري الآن.. فهل تسمح بالخروج منه؟

رد بكسل:

ـ آه آه.. لا اتفاق.. أرجو بصدق أن تشمل قصتك تفسيراً لما يعنيه اسم جورجينا.. أكاد أجن فضولاً.

ـ لا.. فهذا لم يكن ضمن اتفاقنا.

ـ هيا إذن، ابدئي بقصتك.

ـ حسناً ولدت في «ادمنتون» وأنا صغرى ثلاثة أولاد والابنة الوحيدة، الابنة الوحيدة في العائلة والابنة الوحيدة التي لم تنتهج نهج الرياضيين. كان والدي محترفاً بعض الشيء بلعبة كرة قدم قبل أن يصاب إصابة في ظهره جعلته لا يستطيع العودة إلى الملعب. وكان ما حدث بمثابة الانحدار من البطولة إلى اللاشيء في لحظات ثلاث.. لم يكن قد ارتوى بعد من مجده وكانت أمي تشاركه ذلك العطش، في الواقع كانا مولعين بالرياضة. وكان أن حققا أحلامهما في ولديهما أما أنا فلم أكن ذات فائدة لهما.. لكن هذا لا يعني أنهما لم يحباني غير أنهما كانا جاهلين بالنسبة لما يستطيعان فعله بي.. ولم أفعل للأسف شيئاً كان يمنحني اهتمامهما.. ولم أتلق قط نظرة كتلك التي كنت أشاهدها على وجهيهما حين يسجل نيوتن أو لاري هدفاً أو حين تظهر صورهما في الصحف. كنت أكتب أشياء لأمي فكانت تنظر إليها ثم تبتسم بحيرة وتوتر وتقول: حسناً، أليس هذا رائعاً.. عزيزتي؟ ما أسخفني! يا إلهي، ستظن أنني كنت مهزومة. عائلتي رائعة، وأنا أحبها.. لكنني لم أشعر قط بالانتماء إليها. لم يجدوا أنني أقوم بأي عمل صائب، آه أكره أن أشفق على نفسي!

قال بمرح لطيف:

ـ أتودين أن نتبادل العائلات؟ عائلتك تناسبني أنا وعائلتي تناسبك أنت فلا شك أنها ستعشق ابنة كاتبة.

ابتسمت جورجينا.. بدا وكأنه يقاوم اندفاعاً ليلف ذراعه حولها ويضمها إلى صدره، ومد يده الكبيرة يمسح شعرها:

ـ هيا.. ابكي.. أخرجي حزنك من نفسك. لقد كتمته في

داخلك مدة طويلة.

شهقت بصوت مرتفع فقد شعرت بالندم لأنها لا تعرف كيف تبكي برشاقة وفتنة وصمت، كما تفعل ممثلات السينما.. ولكنها نادراً ما تبكي، وحين تبكي كانت تخرج كل شيء من قلبها وروحها.. لم تكن عيناها رطبتين فحسب بل كانتا حمراوين.. ولم تكن الدموع تتدحرج على خديها قطرة قطرة، بل تتدفق كالنهر. احمر أنفها والتوت شفتاها إلى الأسفل بتعبير طفولي يثير الشفقة. أحست بالاشمئزاز من نفسها ولكنها رغم ذلك لم تستطع إيقاف تدفق الدموع المحرج.

حاولت الضحك على نفسها:

ـ أنا آسفة، لا أدري ما الذي جعلني أبكي فلست طفلة! ولم أكن قط طفلة!

ـ ربما حاولت مدة طويلة أن تكوني قاسية العاطفة لأنك لم تستطيعي أن تكوني قاسية الجسد، كأخويك. ربما حاولت طويلاً إخفاء الجانب الحساس من نفسك عن الناس الذين قد لا يفهمونه، ولكن الآن بإمكانك إطلاق كل شيء.

ضغطت أنفها الرطب في صدره.. وهمست آمله ألا يسمع:

ـ وهل ستفهمني تاليس؟

لكنه سمع.. وأجاب:

ـ سأفهم جورجينا.. أتذكرين؟ نملك شيئاً مشتركاً: كلانا الابن الضال في عائلته. لقد شهدت كثيراً من الليالي الطويلة السوداء أثناء سعي للتعايش والاتفاق مع هذا الواقع.

تمتمت:

ـ أتساءل لماذا لم أستطع هذا؟

ـ ربما لأن مجتمعنا ما زال يسهّل للرجل اختيار طريقه. بل يتوقع منه ذلك أما النساء فيربين على أن يسعين للموافقة. وأظن أن هذا يجعل من العسير على فتاة ما اتخاذ طريق لا يرغب فيه أهلها. ربما هذا ما يجعل من العسير عليك اختيار شخصيتك حتى.

استغربت صدق كلامه وقالت موافقة:

ـ لقد امتلكت أنت هذا الحق.. أما أمي فقد كانت تؤمن أن فرصتي الوحيدة في التحرر، هي إثبات جدارتي في أن أكون واحدة من عائلة مقاتلة.. أو هي عدم انطلاقي وحيدة كما فعلت ويبدو أنها تتجاهل رغبتي في الاستقلال وتسعى لأتزوج من لاعب كرة قدم لامع. ولهذا السبب أظن أنني أحقد على كل لاعبي الكرة. لأنه سبق وفُرض عليّ الكثير منهم، وكأنما مجرد صلتي بهم تجعلني مقبولة عندهم وعند عائلتي! ألا يثير هذا الاشمئزاز؟

تنهدت، وكأنما تعتذر عن تصرفها في الليلة الأولى عندما وصل.

ـ ربما هذا هو سبب تجنبي لأي علاقة مهما كانت، لأنني أرغب في أن يتعرف الناس إليّ على ما أنا عليه وعلى ما أستطيع تحقيقه.

تنهدت ثانية:

ـ لكن، وحتى أكون واقعية أقول انني حتى وإن أصبحت عضواً من أعضاء البرلمان فستظل أمي تراني غير ناجحة ولن أحظى بمرتبة النجاح إلا حين أضع خاتم الزفاف في إصبعي.

أدركت أنها تثرثر، وأحست بعينيها تثقلان، فقالت بخشونة:

ـ تاليس.. سأعود إلى النوم.

مرر إصبعاً حنوناً على جفنيها المطبقين:

- دون مزاح!.. اسمعي جورجينا.. أنا أحترم ما فعلته في حياتك.. وأظن أن ما أنجزته رائعاً.

وبخته بعناد:

- لا تفسد الأمر عليّ تاليس.. لن أثق بك إن قلت لي أشياء لا تعنيها.

كانت ضحكته خفيفة:

- لم أر امرأة كثيرة الشكوك مثلك جورجينا بارتون! يجب أن أشعر بالإهانة لأنك اتهمتني بالتملق!

- هه! تاليس.. أنت لا تعرف حتى ما أعمل! فأنا لا أكسب قوتي من إدارة فندق بنزيل واحد!

- هه! لديّ ابن أخت هو أكبر معجب بزاوية الأطفال.. وربما يكون أكبر المشاركين في تحريرها.. ومن المعروف عني أنني كنت آخذ منه آخر عدد من المجلة.. إنما لا تذيعي خبراً مفاده أن تاليس واند كان يمضي معظم لياليه وحيداً في منزله الفخم مع مجلة أطفال.. فلديّ صورة عامة يجب أن أحميها.

- أظنك أحياناً ألطف الرجال تاليس واند.

وكانت زلة لسان واعتراف ولّده النعس لذا لم يبدُ حقيقياً.

- أحياناً أنت قاسية في صرامتك وأنت شبه نائمة، ألست هكذا؟

هزت رأسها، بلا أثر للاعتذار، وساد الصمت. أحست به يسترخي أيضاً، وشعرت بأنفاسه تخفت حتى أصبحت صورة لأنفاسها. كان قلبه يخفق بنغمات رتيبة تحت أذنها.. وكانت يده ما تزال تتحرك ببطء على شعرها، أما رائحته الرائعة، فبدت

منعشة ونظيفة. أوه يا الله! ما أحبَّ إلى قلبها أن تكون قربه وأن يكون هنا..

لكن.. من تخادع؟ غداً سيعود الغريب المنعزل مرة أخرى.. غداً قد تطالب به كرة القدم أو تطالب به حياته الأخرى.

ثم، لقد أقسمت منذ زمن بعيد ألا تتزوج رياضياً محترفاً.. أبداً! ولكنها الآن تتساءل بنعاس عما إذا كان ذلك القسم مجرد طريقة لا عقلانية في معاقبة أمها!

رن جرس صغير داخل رأسها، وانطفأ ضوء.. أمها؟

- تاليس.. أتعرف لماذا أنت هنا؟

كان صوته ناعساً كصوتها:

- أظن أنني أعرف.. لكن يخالجني شعور أنني سأواجه مفاجأة.

- إنها أمي!

- أمك؟

- أجل.. لتدبير زواج.

- أوه..

ران صمت طويل طويل، وعاد النعاس يدغدغ أجفانها فنسيت سخطها على أمها، وغرقت في أحلامها وكانت أثناء الحلم تبتسم فقد رأت في منامها رجل يقول لها بعمق:

- حسناً.. لدى الأمهات غريزة في فعل أشياء كهذه.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ موعد مع الحلم

حين استيقظت جورجينا ثانية، كان الفراش إلى جانبها فارغاً. لولا الأثر البيّن على الوسادة، لظنت بأنها كانت ترى في منامها كل ما جرى.

كان باب غرفتها مفتوحاً قليلاً فتناهى إليها صوت أحبط حلمها الرومانسي فقد صوّرت لها أحلامها الرومانسية أن تاليس يعد لها فطوراً يضع معه وردة حمراء. ولماذا يفعل على أي حال؟ فلم يحدث بينهما ما يوصف بالرومانسي.

لا.. فقد عاد تاليس إلى غرفة التعذيب.. وها هي تسمع صرير الأثقال وهي ترتفع وتنخفض على حمالاتها.. وتمنت مخلصة لو تقع على رأسه الجذاب الفضي الأطراف!

تباً! ليتها لا تشعر بأنها أشبه بكرة «يويو» معلقة في نهاية خيطه! ففي لحظة يمسكها براحة يده، وفي التالية يرميها ولكنه دائماً دائماً، يمسك بالخيط الخفي ويتمكن من استعادتها ساعة يشاء.

نعم هي المخطئة لأنها مستعدة دائماً للرضى عنه عند أقل إشارة منه.. على أي حال لن تبقى جالسة في فراشها طوال اليوم بانتظار مكافأة على حبها تكون ابتسامة أو حديثاً قصيراً أو لمسة

على الرأس، لا.. سيدي.. ما زال لدى جورجينا بارتون بعض الكرامة.. وها هي ستهجر سفينتك!

وضبت الغداء، ثم وضعت ثوباً وأغراض السباحة، في سيارتها «الهوندا الستايشن» التي قادتها إلى الشاطىء العام المزدحم. كانت السماء خالية من الغيوم، والماء دافئة مغرية والناس المختلفوا الأجناس نشيطون ومثيرون للاهتمام وكان كتابها ممتعاً. ولكن للأسف أمضت وقتاً سيئاً عجزت عن الاعتراف بسوئه، فهي لم تستطع إلا تصور نفسها مع تاليس جنباً لجنب على رمال الشاطىء.

أحست بالذعر. ما خطبها؟ ألا تعشق هي المياه والقرب من البحار والبحيرات؟ أليس هذا أحد الأسباب التي دفعتها للانتقال إلى هنا؟ فهل جاء إلى هنا ليدمر كل شيء لها؟ وماذا عن المنزل؟ هل ستكون سعيدة فيه إن عاشت وحيدة بعد الآن وهل سيتوقف ذلك الجزء الخاص منها عن الإصغاء إلى الخطوات العرجاء على الدرج، وإلى الصوت الذي لا رنة خاصة فيه؛ إلى الصوت العميق الرائع الذي يرتفع عادة تحت ماء الرشاش في الصباح؟ هل سيظل جزء منها، يبحث في كل الزوايا على أمل أن يرى ظهراً عريض المنكبين ورأساً أطراف شعره فضية.

نهرت نفسها على هلوستها الدرامية.. سيذهب تاليس وستستعيد هي حالتها الطبيعية وسيكون الأمر وكأنه لم يعترض سبيل حياتها يوماً. ولم لا تكون واقعية؟ فالواقع يشهد أنه لم يحدث بينهما شيء إطلاقاً ولم يُعلن أي منهما عن حب مجنون أو وعد إلى الأبد.. بل كانت لحظات تقارب اعترفا أثناءها بما يضايقهما.

لم يكن بينهما سوى صداقة واهتمام مشترك بالأشياء القديمة وإحساس بالمرح أوقعهما في شرك التناغم، ووضع عائلي تشاركا فيه في بضع جروح.

نعم لم يكن هناك إلا شعور بالاطمئنان.

أقنعت نفسها بحزم: لا لم يولد بيننا إلا شعور بالإطمئنان وما أن يرحل حتى ينتهي كل شيء. لكنها اعترفت لنفسها بصوت مرتفع وبعينين مغرورقتين بالدموع.

- لن أتغلب على ذكراه أبداً.. أبداً!

غضبت من نفسها لأنها اعترفت بذلك فوثبت على قدميها وهرعت إلى المياه تقفز بروعة فيها، وراحت تسبح حتى آلمتها ذراعاها. أما المياه التي بللت وجهها فلا يمكن أن تكون إلا دموعاً.

بعد سباحتها المرهقة، أجبرت نفسها على الاسترخاء تحت أشعة الشمس وكأنها إحدى هؤلاء النسوة الخاليات البال من الهم، المستلقيات على ظهورهن المنتشرات في كل حدب وصوب. أخيراً عندما اقترب المساء استخدمت غرفة الملابس العامة التي ارتدت فيها فستاناً صيفياً أصفر اللون ثم وضعت لمسة ماكياج على وجهها الذي قبلته الشمس. لم تكن مستعدة حتى الآن للعودة. أرادت أن يتساءل أين تكون.. كما أرادت ربما أن يشعر بالقلق.

حاولت إقناع نفسها بأنها لا تموت شوقاً للعودة إلى المنزل ركضاً لتراه ولتطمئن على حاله ولترى إن كان بالإمكان استعادة ولو القليل من المشاعر المتقاربة التي شعرت بها وهي معه هذا الصباح..

تجولت بسيارتها قليلاً في بلدة سالمون تتظاهر أنها تقصد

شيئاً. أخيراً توجهت إلى «بيت الورود» وهو منزل جميل قديم أصبح مطعماً، كانت أحياناً تتناول العشاء فيه، لتدليل نفسها ولتقارن بين ديكور المطعم الحديث وبين ديكور منزلها ولتتأمل لوحات الفنانين المحليين المعلقة على الجدران.. ولكن تاليس احتل الليلة أفكارها فكان أن أفسد ذلك.

لن يأتي تاليس إلى هنا، ولا يستطيع على أي حال، فقد يقتحم أحد خصوصيته الثمينة.. لقد جعلته مهنته يفرض على نفسه التنسك، كيف يجد المرء السعادة وهو لا يستطيع الخروج إلى أي مكان يريده؟ وإن حدث أن خرج تحلق حوله المعجبون سعياً إلى توقيع منه.. لكن ما فائدة التفكير في هذا؟ لم يدعها مرة للخروج.. وربما لن يدعوها يوماً... لم تفكر وهي غارقة في الشفقة على ذاتها أنها هي نفسها لا تخرج كثيراً، وأنها تقنع بالبقاء في منزلها مع كلبها ومع مجلاتها ومنزلها.

بعد أن أمضت وقتاً طويلاً في تناول العشاء أجبرت نفسها على الذهاب إلى السينما. وهناك جلست تشاهد فيلم الوحش الذي أكل كوكب الزهرة والواقع أنها لم تر منه شيئاً. ثم عادت إلى المنزل، خافقة القلب.. هل سيكون مستيقظاً يذرع الغرفة؟ أم سيكون جالساً على الأريكة يتظاهر بالقراءة؟ هل سيعرض عليها كوب شراب ساخن قبل النوم؟ هل سيبقيان مستيقظين يتحدثان حتى...؟

تنهدت لأنها أدركت أنها هزمت لتوها هدف اليوم كله.. ثم تنهدت تنهيدة أعمق وتوقفت أمام المدخل ولكنها لاحظت أن كل الأنوار مطفأة.. كان منزلها غارقاً في الظلام. فشعرت بأنها عادت لتعيش فيه وحدها.

جرّت نفسها على الدرج وصولاً إلى غرفتها وهناك استلقت على فراشها تنظر إلى السقف.. أيعني هذا أن عليها تكرار ما فعلته اليوم في الغد؟ كم يوماً يجب أن تغيب عنه ليلاحظ غيابها؟ وهل سيلاحظ أبداً؟

إن ما تلعبه لعبة ذات وجهين: أحدهما برهان لنفسها بأنها قادرة على العيش والعمل من دونه. والثاني إجباره على الاعتراف بأنه لا يستطيع العيش والعمل من دونها وهذا ما فشلت فيه. سألت نفسها بمرارة.. لماذا في عائلة واقعية عمادها العقل ولدت امرأة حالمة غبية مثلها؟

في الصباح التالي، لاحظت أن الجو خارج نافذتها رمادياً مكفهراً كقلبها تماماً. وهذا يوم لا يناسب الخروج إلى الشاطىء قطعاً... فلتبدأ إذاً برسم حدود بركة البط التي رسمتها على جدار الغرفة العليا لتناسب ورق الجدران.

- جورجينا، أيمكنني الدخول؟

لم ينتظر تاليس ردها، بل دخل من الباب وهو مرتد سروالاً قصيراً مخصصاً للركض وكان سنوكل خلفه تماماً... جلسا معاً فوق السرير.

- هناك مركز حمام بخاري فنلندي بالقرب من هنا جورجينا.. أتعرفين هذا؟

ردت ببرود، تركز بصرها على النافذة:

- لا.

- فلنذهب إلى هناك الليلة.

ردت بحزم وبالبرود الذي يبدو أنه لم يلحظه: «لا».

سألها بشيء من عدم الاهتمام: «موعد آخر؟».

موعد آخر؟ آها.. ! تغير مزاجها فوراً.. إذن، فهو ليس غافلاً عن غيبتها التي طالت يوم أمس.. فنظرت إليه بلطف، مع أن ردها لم يتغير، وقال وهو ينظر إلى يديه الكبيرتين:

- اسمعي جورجينا.. أعرف أن العيش معي لم يكن سهلاً في المدة الأخيرة.. في الواقع كان صعباً.. وأنا آسف.

أصابتها صدمة تزن طناً. إنها ما تزال تثق بهذا الرجل، كانت تعرف أنها إن لم تثق بصدقه الآن فلن تتمكن من الثقة بحكمها على أي كائن بشري ما دامت حية. ولم يكن لديها شك في أنه كان مضطرباً بعمق، وآسفاً حقاً بسبب المعاملة التي عاملها إياها مؤخراً. أحست بذلك الإحساس الذي أصبح مألوفاً، أحست بالذوبان.. لكن الإحساس لم يرافقه الشك في أنها مخدوعة.

أكمل محاولاً الإقناع:

- إنها ليلة رائعة للصونا.. خاصة وأن السماء تمطر.. كما أن البخار يساعد ساقي.

إنه يتلاعب بشفقتها الطبيعية بدون رحمة! لكنها قالت ببطء:

- لم يسبق أن جرّبت حمام بخار.

- حقاً؟ إنها تجربة يجب أن يمارسها الجميع.

استسلمت:

- حسناً، ربما يستحق الأمر التجربة.

- سأحجز لنا مكاناً إذن.

راقبته وهو يخرج متنهدة. ألا يعرف إلى أين تقودها نظرة الفرح الحقيقية في عينيه التي كانت بسبب قبولها؟ لكن راحت تتولد ببطء فكرة ثانية.. ربما.. ربما تاليس واند مهتم بها حقاً. لماذا ترفض أن تفكر بأنه مهتم بها؟ وقفت تنظر إلى نفسها في

المرآة فإذا عينان كبيرتان رماديتان رزينتان تحدقان إليها. حسناً إنها لا تشبه زازا كاندل، لكنها ليست قبيحة كذلك.

أضف إلى هذا أنه قال لها مرة أو مرتين إنها رفيقة مرحة تثير الاهتمام. فلماذا تشك في هذا؟ لماذ تشك في أمر وقوعه في حبها؟ كان لشقيقيها اللذين لم يحظيا بشهرة تاليس نصيب وافر من المرح في الحياة.. لكن حين أتى وقت الاستقرار، اختار كل منهما فتاة عادية زوجة.

أما بالنسبة للنساء الأخريات، اللواتي يلطخن حياته.. حسناً.. من هي لتحكم عليه؟ من حقه بكل تأكيد أن يلهو حتى يجد ما يبحث عنه.. ماذا تتوقع منه؟ أن يعيش حياة التنسك والرهبنة حتى تقتحم الفتاة المناسبة.. جورجينا بارتون.. حياته؟

قررت، إنه يكفيها أن يفكر في أنه يحب فتاة أخرى، ولو زيفاً، ولكنه عندما سيقع في الحب الحقيقي سيعرف الفرق بنفسه.

أدركت للمرة الأولى أنها ترى إمكانية بناء مستقبل معه. ربما لأنها مع مضي الأيام تشعر بأن التفكير في مستقبل خال منه أمر مؤلم.

إنها تحبه.. ألا يستحق حبها هذا المخاطرة بشيء صغير مثل كرامتها لترى ما إذا كان يبادلها المشاعر؟ ولتكتشف ولو لمرة واحدة أين موقعها من نفسه؟ سيكون من الجبن أن تتركه يبتعد لأنها لا تشعر بالثقة بالنفس التي تجعلها تواجهه بحبها.

ستكون الليلة نقطة الفصل في علاقتهما. جعلت هذه الفكرة قلبها يخفق خفقاناً كاد يصل إلى حنجرتها.. قالت لنفسها بعناد: إن كان مقدراً لهذا أن يحدث فليحدث! ولن يكون هناك حاجة إلى التلاعب به أو الضغط عليه لتكسبه... وسيستحق اعترافها كل

العناء، هذا إذا كان يحب جورجينا بارتون حقاً.

ولكن لا بأس أبداً بأن تبذل ما في وسعها لتلعب أوراقها مستفيدة من أفضل ما تملك. سارعت إلى خزانتها.. ماذا يرتدي المرء بالضبط للذهاب إلى الصونا؟

لم تضع أي مسحوق على وجهها لأنها هناك لن تتلقى سوى العرق، كما أنها لا تحتاج إلى تجميل. فقد اكتسبت بشرتها مظهراً ذهبياً من قضاء ذاك النهار على الشاطىء. كان في عينيها بريق معين لا تستطيع المساحيق إخفاءه أو إظهاره أكثر مما هو ظاهر. وهذا يعني أنه لن يساعدها شيء على تحسين مظهرها أكثر من هذا الإشراق الداخلي. قرأت مرة أن المرأة التي تحب، تنضح جمالاً طبيعياً وبريقاً سماوياً عميقاً.. لكنها كانت قد صرفت النظر عن هذه النظرية واعتبرتها هراء رومانسي.. أما الآن فهي مستعدة لتصديقها.

عقدت شعرها على شكل ذيل حصان ثم جذبت بضع خصلات منه لتشكل إطاراً لوجهها... وكان التأثير رائعاً.. ورغم بساطة التسريحة أضفت شيئاً من الفتنة والشفافية. كانت تبرز ثنايا عنقها الطويل، وتركز على أفضل قسماتها.. على العينين الكبيرتين وعلى الأهداب الطويلة وعلى الثغر الناعم. إضافة إلى هذا، ومن زاوية يعشش فيها العنكبوت في باطنها، تذكرت أن معظم الرجال يحبون أن يحلوا عقدة شعر المرأة. وهذا مزيد من الهراء الرومانسي.. ولكن، من حقها أن يكون لها أن تشعر ببعض الرومانسية في حياتها.. أليس كذلك؟

ارتدت قميصاً واسعاً، مشمشي اللون تفصيلته رجولية.. لكن الخطوط الرجولية فيه أظهرت كل أنوثتها، خاصة وأنها عقدت

القميص على خصرها النحيل، وقد أضافت إليه سروالاً أبيضاً ضيقاً. كان منظرها كله مزيجاً من العفوية والأناقة.

وضعت في حقيبتها، منشفة كبيرة براقة اللون، وثوب استحمام فيروزي اللون.

قاد السيارة وهما صامتان. كان في قلبها خفة رائعة رغم المطر المنهمر المحدق بهما ورغم شدة الظلام الذي كاد يجعلهما لا يريان ما يزيد عن بعد عشرة أقدام. كانت الأراضي الريفية غارقة في الظلام، فلم يستطيعا رؤية جمالها. وتمتم:

ـ ليلة رائعة للصونا..

ردت بتحد وخفة:

ـ إن استطعت أن تجد المكان؟

ابتسم لها، ثم أعاد اهتمامه إلى الطريق حيث انعطف متخذاً ممراً مفروشاً بالحصى، تحيطه الأشجار على الجهتين. تلوى الطريق نزولاً وكثرت فيه المنعطفات.. ثم، وسط الظلام الدامس، شاهدت أمامها أنواراً تشع وكوخاً خشبياً صغيراً ذهبي اللون، يقع بين أيكة من الأشجار، وجدول صغير يجري أمامه.

همست وهي تخرج من «القان» «أوه تاليس».

استطاعت أن تشم رائحة الحطب المشتعل في الجو، وعبير أوراق الأشجار الندية. سارت خلفه وعندما بلغا الباب توقفا.. كان المكان صغيراً بسيطاً.. فيه بضعة بُسط فنلندية مصنوعة يدوياً ومفروشة على الأرض الأسمنت، وكان هناك تحت النافذة طاولة وعدة كراسي خشبية، ونار تشتعل جذلى في مدفأة من الآجر.

سألت بعجب:

ـ أتساءل كيف وجدت هذا المكان؟

ـ حسناً.. قمت برحلة إليه في وقت سابق.. أردت أن يكون المكان مميزاً جداً لك جورجينا. بما أن هذه المرة الأولى لك غرفة الصونا من وراء هذا الباب إنها عبارة عن غرفة محفورة في الأرض.

أشاحت بوجهها بعيداً.. فقرب الباب لوحة عريضة تعرض صوراً فنلندية لأشخاص شبه عراة يتمتعون بالحمام البخاري. ثم نظرت إليه متوسلة:

ـ بالتأكيد لسنا مضطرين إلى...

سيفسد كل شيء لو كان يتوقع منها أن..

تحركت عيناه إلى ما كانت تنظر إليه وقال ممازحاً بخبث:

ـ إلا إذا شعرت براحة أكثر.

ـ بكل تأكيد لا!

هز كتفيه ووميض المرح يطل من عينيه:

ـ للفنلنديين نظرة مختلفة إلى أجسادهم جورجينا. فالعائلات والأصدقاء يتمتعون بالصونا بدون تفكير في ما سواها. لماذا لا تدخلين غرفة الملابس وتبدلي ملابسك، وفي هذا الوقت سأصب فنجانين من القهوة.

رحبت بالاقتراح.. دخلت إلى غرفة صغيرة غيرت ملابسها فيها وتأخرت قليلاً، تنظر بإعجاب إلى الخزانة الخشبية المحفورة يدوياً، وتلقي نظرة على غرفة البخار.. ماذا تفعل يا ترى لتؤخر عودتها إلى الخارج وهي مرتدية ثياب السباحة؟ تذكرت بقلق لحناً قديماً عن فتاة ارتدت: «ثوب سباحة مرقط أصغر» فأحست بالكراهية لمغادرة الغرفة بسببها. ولكنها أخيراً وبعد نفس عميق عادت إلى الخارج.. وهناك فوجئت بتاليس يطلق صفير إعجاب

منخفضاً إنما طويل. صاحت به آمرة:

- أوه.. اصمت وادخل لتغير ملابسك.

أمسكت بفنجان قهوتها ترشفه بسرعة في جهد لإخفاء توترها.

- تمهلي في ارتشاف قهوتك، فقد تحرق معدتك.

كان أثناء غيابها قد أدار مسجلته التي ملأت الكابين بأنغام حالمة. فجلست إلى الطاولة تحتسي القهوة بهدوء وحذر.

عاد تاليس مرتدياً سروالاً قصيراً أبيض، فخفق قلبها لرؤيته.

وقال مقترحاً: «فلندخل للقيام بالجولة الأولى».

دخلا إلى دائرة البخار وهناك صدمتها الحرارة. طلب منها تاليس أن تستلقي على المقعد السفلي فيما يتسلق هو إلى الأعلى حيث الحرارة أشد. راح العرق يتدفق من جورجينا حالما قعدت تقريباً.. كانت نظرتها تجاه العرق غريبة، ولم تكن لتعتقد أنها تجربة مثيرة، حتى رفعت نظرها إلى تاليس.

كانت عيناه مغمضتين باستسلام وبشرته تلمع بقطرات العرق.. بدا وكأنه رياضي كمال الأجسام يضع الزيوت على جسده ليلمع أو كتمثال من البرونز اللماع.

في الوقت الذي أحست فيه أن بشرتها تكاد تذوب فوق المقعد الخشبي، قال لها:

- يكفي هذا كمرة أولى.

خرجا من غرفة البخار، فسارت خلفه إلى الخارج وهناك وقف رافعاً وجهه نحو السماء تحت المطر المنهمر.. وحذت حذوه ثم ابتسمت بفرح. كان البرد والمطر الخفيف يضرب بشرتها الساخنة فشعرت وكأنها تتبخر وتتقلص.. أو كأنها تتراقص في

حياة خاصة بها. أحست أنها منتعشة ونظيفة بشكل رائع.

عادا إلى الداخل حيث شربا القهوة الساخنة ثانية.. وأصغيا إلى الموسيقى. ثم كررا ما سبق إنما هذه المرة توجها إلى مكان يصب فيه الماء على الصخور الساخنة لافتعال البخار، ثم عادا إلى المطر ثانية.

في المرة الثالثة وكانت الأشد حرارة، خرجا إلى الخارج، وركض تاليس ثم رمى نفسه في الجدول.. وبعد لحظات من التردد حذت جورجينا حذوه وعندما رمت نفسها صدمتها برودة المياه ثم لم تلبث أن ضحكت بسعادة غامرة وهي تحس بالمياه الجارية ببرودة على جسدها المحترق. تقدم تاليس منها فأحاطها بذراعيه، وجلسا معاً في أسفل الجدول حيث الماء يغمرهما حتى العنق.. بدا احتضانه لها أمراً طبيعياً..

رفعت وجهها إلى المطر، فتركزت عيناه على وجهها، وبادلته العناق، كانت بحاجة إلى الإحساس بوجوده القوي، وبشرته الرطبة الناعمة.

أبعدها عنه وهمس باسمها عندها بعثت نظرة عينيه الثقة إلى نفسها، وأقنعتها عيناه بما هو أدل من الكلمات بأنها جميلة..

في زوايا بعيدة من عقلها المتشتت بتألق ذهبي أحست أنهما بحاجة إلى الكلام للتعبير عن كل ما مر بهما من قبل. وثمة أمور كثيرة يحتاجان إلى استكشافها، بالكلمات لا بشيء آخر، لكن الآن ليس الزمان أو المكان المناسبين. الآن، هو وقت الحلم، الاسترخاء، تنهدت.. فاشتدت ذراعاه حولها، فدفنت رأسها في صدره تشعر بالأمان بين ذراعيه.

* * *

٩ ـ هل يعود

تمطت جورجينا كقطة كسول، وفتحت عينيها. في البداية ارتاعت لرؤية نفسها في فراشها.. ولكنها تذكرت بغموض أن تاليس لفها بحنان في بطانية صوفية وحملها من القان، تحت المطر ونقلها إلى غرفتها التي وجدت فيها الدفء فنامت.

نظرت إلى الغرفة الفارغة باستغراب.. لا شك أنه نام معها؟ خافت أن يكون قد تركها وحيدة ثانية وكأنها ما عادت تعني له شيئاً. مرت هذه الفكرة في خاطرها بسرعة. ثم التفتت إلى الوسادة فإذا عليها رسالة.

رفعت الدبوس عن الرسالة، تحس بالسعادة الحميمة، والبهجة لأنها تكتشف أن الحب يؤدي إلى أشياء صغيرة، مثل تثبيت رسالة على الوسادة. بإمكانها للمرة الأولى التمتع بعضوية هذا النادي، نادي الأزواج، نادي الثنائي الذي يكشف لها عن خبايا رائعة.

فتحت الرسالة وابتسمت، ثم قرأت:

«أظنني وقعت في حبك» وأضافت الرسالة أنه خرج للتريض.

جلست تتأمل بغباء الرسالة وأمضت في تأملها وقتاً أطول مما تستحقه الكلمات أو الخط الجميل الذي كتب هذه المفردات.

طبعاً، لم تكن تعرف ما يجب أن تفهم من كلمة «أظنني» ولو كانت الجملة «أحبك» لأتت أوضح وأدل بكثير. أحست بقلق طفيف من أن تكون الرسالة وليدة تقاربهما.. أيظن أن هذا هو كل ما هو الحب عليه؟

أخيراً طوت الرسالة بحذر ووضعتها في درج الطاولة قرب السرير. من الواضح أنه لم يقضِ ثلاث ساعات في كتابة رسالة حب. إنها مجرد رسالة، لا تحمل معاني مخبأة، ودلائل نفسية.. أما أن يكون قد وقع فعلاً في حبها كما يقول.. فمن تخادع؟ وإن كان سيقع في حب أساسه مشاعر غامرة شعر بها خلال حمام بخاري، فمن غير المحتمل أن يختارها هي.. كما أنها ليست مستعدة أن تصدق أنه سطحي إلى حد أن يجعل اعترافه بالحب مبنياً على رغبة جسدية.

لا.. ما حدث بالأمس كان تأكيداً سعيداً، وختماً لما اكتشفه عقلاهما وقلباهما.

دهشت لأنها لم تنزعج بسبب خروجه للتريض وخروجه هذا يشير إلى أن بينهما أشياء متباينة وسيكون من الخطأ أن تحاول تغيير شيء منها..

وعندما أدركت هذا شعرت بعمق مشاعرها وبصدق حبها. لم يكن هذا تعلقاً طفولياً يعود ليطاردها، ولم يكن مجرد عبث، ولا تعلقاً بالنجوم.. لأنها تحبه على حاله ولا تشعر بأن عليه أن يتغير لينسجم مع رومانسيتها بل تقبل بأن تمتلك كرة القدم جزءاً منه. وهذه شهادة على قوة مشاعرها نحوه.. لقد انتزع بلطف وصبر ذلك الحاجز بينهما وخفف من البؤس الذي أوقعتها به كرة القدم. وأظهر لها أن الأمر لا يتعلق فقط باللعبة، بل بمن يلعبها،

وبتصرفهم نحوها، وهو لم يكن أحد أولئك الذين أوقعوا بها الألم القديم.

وللمرة الأولى في حياتها تشعر بأنها قادرة على الفصل بين لاعب كرة قدم وبين الألم الذي أنزله بها طموح أبيها وأمها وأخويها.. وللمرة الأولى تشعر بأنها واثقة بأن تاليس حين قال إنه يظن أنه يحبها، إنما يعني أنه يحبها. ولا يعني أنه يريد التقرب من أخويها، أو ينعم بظل مجدهما. لم يكن يعني أنه بحاجة إلى شخص آخر يحبه كما لا يعني أنه يريد أن يأخذ ويأخذ، ولا يعطي شيئاً بالمقابل.

نظرت إلى الساعة وحركت أنفها.. لا عجب أن يخرج تاليس للقيام برياضة الركض. فشخصيته الشغوف بالصباح لا تقوى على الاستيقاظ في الحادية عشرة. اتسعت ابتسامتها.. يمكنها أن تتمتع بهذا ما دامت قادرة، فما أن يعمدا إلى تكوين عائلة، حتى يعجزا عن إيجاد الفرص للنوم.

عائلة! أولاد صغار ذوو عيون واسعة بنية يركضون بصخب حول المنزل ويركبون ظهر والدهم وكتفيه العريضتين.

غضبت من نفسها فليس عليها بسبب رسالة عليها اعتراف بالحب أن تخطط لعائلة. على أساسها! كم كان تاليس محقاً حين فهم الدوافع الحقيقية لشرائها هذا المنزل... وكم كانت تريد هذا الحلم بيأس حتى أنها دهشت لسماع الحقيقة منه.

هبت من السرير تريد الاستحمام. وهناك في الحمام وفيما كانت تحت المياه، قررت أن تعد فطوراً خاصاً لها وله. وستكون هذه الفترة مناسبة لمناقشة بعض الأمور التي تحتاج إلى بحث، فكرت في وضع شموع وسط المائدة، ولكنها ضحكت: شموع

في وضح النهار؟ ما أورع أن تشعر بأنها محبوبة! ما أروعها من مغامرة في الحياة!

أدركت أن ليس لديها أي من مقومات الفطور الذي حلمت به.. ولكن، ولأن تاليس لم يعد بعد، فلديها الوقت للذهاب إلى البلدة القريبة لشراء ما تشاء.. وما هم لو كان الفطور في الثالثة، أو السادسة، أو العاشرة؟

تركت له رسالة قصيرة وهرعت إلى البلدة متجاهلة للمرة الأولى إشارات السير التي تحدّد السرعة. إنها تريد العودة بسرعة لتكون معه، لترمي نفسها برغبة بين ذراعيه، لتقبل عينيه وأنفه.. أوه..!

جالت في مخزن المأكولات بسرعة ولكنها ندمت لأنها لم تضع لائحة بما تريد.. فقد صعب عليها أن تتذكر كل مكونات الوجبة الخاصة التي تخطط لها، خاصة وأن تفكيرها يتسلل إلى ما وراء الوجبة.. كانت واثقة أن أفكارها كتاب مفتوح لكل من تمر به.. فقد كانت تتورد خجلاً كلما نظر إليها أحد.

أخيراً، اعتقدت أنها اشترت كل شيء ولكنها لم تعد عابئة إن اشترت كل شيء أم لم تشتره. فقد أخذت تفكر في التخلي عن فكرة الطعام والعودة مباشرة إلى..

توقفت أفكارها فجأة.. وتوقف كل شيء حولها وأصبح ميتاً، الحركة أمام صندوق الدفع ماتت. وضربات قلبها ماتت تسمَّرت في مكانها وكأنها صورة ساكنة سوداء وبيضاء.. كان وجه زازا كاندل الغارق بالدموع يحتل غلاف مجلة «ستارلاين اكسبرس» مجلة أسبوعية مخصصة للشائعات حول المشاهير. تحس جورجينا عادة بالتسلية حين تقرأ العناوين التي تكاد تقفز من

غلاف المجلات.. أما الآن فقد أحست أنها تكاد تفقد الوعي..

كان العنوان الجريء يقول: إنه ميت! تبع ذلك عنوان جانبي: زازا تخاف على خطيبها تاليس واند.

ـ الحساب خمسماية وسبعة وستين دولاراً آنسة.

نظرت جورجينا بشرود إلى موظفة الصندوق وراحت تبحث في محفظتها، ثم أضافت ثمن المجلة لمشترياتها.

نظرت الموظفة إلى العنوان وسألتها:

ـ أتعتقدين أن هذا صحيح؟

ـ أضمن لك أن الخبر لم يكن صحيحاً هذا الصباح.. لكن قد يصبح صحيحاً هذا المساء.

تجاهلت نظرة الذهول على وجه الموظفة، وأخذت أغراضها واتجهت إلى سيارتها. وما كاد الباب ينغلق وراءها حتى أخذت تفتش في صفحات المجلة للوصول إلى القصة.. كانت المقالة بالنسبة لحجم صورة زازا وعنوان الغلاف مختصرة:

«كادت زازا كاندل تصاب بالهستيريا اليوم حين أعلنت أمام الصحافيين أن خطيبها تاليس واند مفقود منذ شهر.. الممثلة الشقراء الجميلة تخشى عليه من حدوث ما هو خطير. زازا، بطلة المسلسل الذي ألغي مؤخراً «دوغ دايز» تقول إنها وتاليس مخطوبان سرّاً، منذ الميلاد وقالت الممثلة رائعة العينين: أحبه كثيراً.. لكن بعد إصابته أصبح رجلاً مختلفاً فقد عرف أن مهنته ومستقبله قد انتهيا وشعر بالكآبة وفقد الأمل. كنت إلى جانبه طوال الوقت. أما سبب إلغاء المسلسل فانشغالي به... فمعاناة حبيبي كانت معاناتي».

تمتمت جورجينا: أوه.. يا لهذا الهراء!

«لكن كل حبي لم يكن كافياً فقد غاص أكثر فأكثر في اكتئابه.. فهو يعتقد أنه بدون عمله ستصبح رجولته كلها في خطر.. وكيف يستطيع الرجل أن يعيش بدون رجولته؟ ومع أن الخوف يسيطر عليّ، يجب أن أقول إنني الآن أشك أن يحدث ما هو أسوأ. تاليس هو، أو كان شخصاً لطيفاً مهتماً.. لم يكن قادراً على أن يكون قاسياً وأن يتركني بدون حكمة، أو بدون الاتصال بي».

انتهت المقالة بجملة صغيرة تصف تاليس والإصابة التي تلقاها خلال مباريات البطولة.

رمت جورجينا المجلة باشمئزاز.. آخر دور لا يصدق لزازا كاندل، هو دور الممرضة التي تضحي بنفسها! معرفتها بأن رجولة تاليس لا يمكن أن تكون مهددة أبداً جعلتها تغضب أكثر.. وتلميح زازا بأنه قد يكون انتحر لم يكن سخيفاً فقط، بل مهيناً إلى أبعد حد لتاليس. وهذا ما يظهر لها مدى معرفتها بالرجل الحقيقي الكامن داخل تاليس! إنه رجل يضج حياة، رجل ثقته بنفسه وقدراته ونشاطه تظهر للعيان مع كل حركة.. حتى في تلك الحركات العاجزة مؤقتاً.. ولكنه لم يستسلم، إنه مقاتل والله! سيصبح للأفاعي أجنحة قبل أن يفكر في الانتحار.. وهذا ما هي واثقة منه!

تاليس كئيب؟ نعم لقد شهدت تبدل مزاجه وتأرجحه، ولكنها لم ترى ما يمكن وصفه باليأس والإحباط كما لم تر منه ما يجعلها توافق على وصف زازا له بالمقعد المثير للشفقة، الذي يفضل التنحي عن الحياة إذا لم يعد إلى الملعب ثانية.

ضربت جورجينا قبضتيها على المقود.. أي نوع من

المغفلات علّق تاليس نفسه بهن؟ أم أن زازا مجرد ضحية أخرى؟ ففي كل هذا الهراء الذي احتواه المقال، كان هناك خط رفيع من الحقيقة. فمن الواضح أن زازا كانت على مقربة منه إلى درجة أن رأت ذلك الجانب اللطيف المهتم منه؛ ذلك الجانب الذي لا يراه الناس.

أم أنها فعلاً ممثلة بارعة؟ هل الجانب اللطيف المهتم هذا هو أكبر كذبة على الإطلاق في كل المقال؟ وهل زازا المعتادة على امتصاص كل الأدوار، هي «الملاك» نفسه؟ وما هو المعيار الحقيقي لعلاقته بها؟ من يخابره في منتصف الليل؟ ولكن من صاحبة تلك الصورة؟ من هي مارلين؟ وتأوهت غاضبة.

لماذا سمحت لنفسها بالانخداع به؟ ولماذا غضت النظر عن الوقوع في ما لا تحمد عقباه؟ أوه.. أمام تاليس واند أسئلة يجيب عنها، ولن يكون الرد عنها تحت ضوء الشموع أبداً؟

من سوء الحظ أن سيارته لم تكن موجودة حين وصلت، ولم تصدق: كيف يجرؤ على الاختفاء حين تكون غاضبة إلى حد الانفجار!

كان قد زاد بضع كلمات على الرسالة التي تركتها له: «عزيزتي جورجينا.. حدث شيء طارىء. لذا أنا مضطر للتغيب بضعة أيام. أعتذر لرحيلي في وقت غير مناسب. سأتصل بك الليلة.. حبي.. تاليس».

رمت الرسالة على الطاولة.. هل بلغته أخبار وفاته في الراديو.. أو في جهاز التلفزيون الذي يحتفظ به في غرفته؟ لقد وقع اسمه مردفاً بكلمة حب؟ ولكنه ربما ينهي كل رسائله لحبيباته بكلمة «حب». عليه مواجهة الحديد الخارج لتوه من نيران

غضبها.

فجأة جف كل الغضب منها، وجلست في زاوية المطبخ، ووضعت وجهها بين ذراعيها وأجهشت بالبكاء.. كيف يفعل هذا بها؟ وكيف تكون على هذه الدرجة من الغباء لتنخدع به؟ إنه نذل بارد القلب، هذا كان حكمها عليه في هذا النهار. وفي الليل عندما رن جرس الهاتف نظرت إليه باستغراب وعدم تصديق، فليرن وليعلم تاليس أنه لا يعني لها الكثير! فليظن أنها خرجت لتضحك ولتتمتع مع شخص آخر الليلة.. فلتتركه...

أوه.. تباً. ربما ليس هو المتصل تنهدت والتقطت السماعة ثم اضطرت للاعتراف بأنها في أعماق قلبها كانت تأمل أن يكون هو.

ـ جورجينا.. هذا أنا.. تاليس.

كان صوته بعيداً، والخط مشوشاً وكانت كلماته تتلاشى ثم تعود.. مع ذلك، كان عليها أن تقاوم للسيطرة على قلبها الخارج عن القانون.. سمعته يكمل حديثه:

ـ ... في وقت أبكر. لكنني اضطررت إلى تغيير الطائرة في «كاملويس» أو الانتظار إلى الغد. اللعنة.. هل الخط سيء عندك كما هو سيء عندي؟ جورجينا... لدي أحاديث كثيرة، ولكنني أقف هنا في ممر، وهذا الخط اللعين.. هل تنتظرين عودتي؟ لا أدري متى.. يبدو أنني...

هل تلاشى الخط أم أنه اختنق بالعاطفة؟ أنبأتها غريزتها بأن هناك أمراً سيئاً وقع. وأنه عالق، مرة أخرى في فخ المعاناة.. توسلت إليها غريزة أخرى للوثوق به ولانتظار عودته حتى تواسيه، وتستمع إليه...

ولكنها كانت تشعر بأنه خانها وبأنها خُدعت وصاحت به:

ـ هل الشائعات المتعلقة بموتك أمر مبالغ فيه؟

ـ ماذا؟ جورجينا لا أسمعك.. هناك عاصفة قائمة هنا لا بد أنها تتداخل مع الخط.. اسمعي، سأحاول الاتصال بك غداً.. أحبك.

تأكدت الآن بمرارة أنه سمعها، وأنه يتلاعب بها مستخدماً كلمات ناعمة ليكسب الوقت. الغضب الذي سمحت له الآن أن يطفو، استمر في الغليان وتدفق إلى الخارج. فسألته بحدة ترفض أن تتركه طليقاً بسهولة:

ـ كيف حال زازا؟

ـ زازا؟ زازا كاندل؟ وكيف لي أن أعرف؟

في صوته شيء من نفاذ الصبر، زادها غضباً أنه يكاد لا يطيق صبراً لإنهاء المكالمة وللتخلص منها!

حسناً.. فليذهب إلى الجحيم!

ـ أنت تعرف تماماً.. زازا كاندل، خطيبتك؟

يصعب أن تكون كلماتها عذبة وهي تشعر بأنها مضطرة للصياح.. لكنها حاولت.. ووصلت إلى مسمعيها شتائم مختارة. فقالت بلؤم:

ـ ليس قانونياً استخدامك البذاءة عبر الهاتف.

ـ لا أهتم! عم تتحدثين جورجينا؟

أصبح صوته الآن أكثر وضوحاً وكأنه في غرفة مجاورة.

ـ أنا أتكلم عن قصة الغلاف في مجلة «ستارلين اكسبرس» هذا الصباح.. زازا كاندل أعلنت للعالم أنها خطيبتك وأعلنت أنها تظن أنك انتحرت.

ـ الاكسبرس؟ بالله عليك جورجينا.. إنها مجلة تنشر مقالات عن مقابلات صحافية مع غرباء من كوكب الزهرة.

تلاشى كل التشويش من الخط، وأصبح صوته أوضح ولكن انخفض فجأة وبدا خائب الأمل وكأنما جعلته يحس بحزن مضاعف ووحدة كبيرة.

ـ جورجينا، لِمَ لا تثقين بي ولو قليلاً؟

أحست بموجة ذنب عارمة، تبعتها موجة أشد من الغضب المتجدد. إنه يدفعها إلى الشعور بالذنب مع أن جميع الأدلة ضده.

ـ حسناً.. حتى وإن لم يكن هناك شيء بينك وبينها، فمن هي صاحبة الصورة التي في غرفتك؟

ساد صمت طويل.. حين تكلم، كان صوته مفعماً بالحزن:

ـ اسمها مارلين غاربك..

ثم، وكما حصل قبل قليل، خشن صوته ولم يكن السبب هذه المرة التشويش.. إنها العاطفة بدون شك.

ـ يجب أن أذهب.

وبدون أن يودعها علّق السماعة.

حدقت إلى السماعة في يدها، مصدومة.. تعرف أنها ارتكبت غلطة، تعرف أنه كان عليها الانصياع إلى ذلك الصوت الهادىء الذي كان يتوسل إليها أن تثق به. ماذا تفعل الآن؟ إنها لا تعرف رقماً يخولها الاتصال به؟ نعم الاتصال به لتشرح له أنها جديدة في عالم الحب.. وأنها لا تثق حتى بنفسها.. أرادت بيأس أن تخبره أنها لا تصدق أن أمراً رائعاً كهذا حدث لجورجينا بارتون.. أرادت أن تبوح له بأنها لم تحب قبله أحد. ولكن ما العمل؟ لقد حطمت في لحظات كل شيء.

www.elromancia.com

كان سنوكل يتكىء بهدوء قربها على الأريكة.. لم تكن تسمح له بالجلوس على الأثاث، ولكنه كان يبدو أنه يضع واجبه نحو سيدته فوق القواعد. ربتت على جسده ربتة خفيفة، فأصبح جسده ثابتاً بدون حراك ومد لسانه الأحمر الخشن يلعق الدموع عن خديها، ثم تنهّد بتفهم ووضع رأسه الثقيل على صدرها، وأغمض عينيه.. تجاهلت جورجينا سيلان لعابه بغزارة عليها، ولفت ذراعيها حوله وضمته بقوة. أهكذا ستكون طوال حياتها؟ لا رفيق لها سوى الكلب؟

كانت قبل الآن تحب هذه الحياة، بل كانت فخورة باستقلالها أما الآن فهي ترى حياتها السابقة على حقيقتها. إنها مجرد فلسفة زائفة.. لقد أظهر لها تاليس واند بعداً مختلفاً. إنه بعد صحي.. هي ليست بحاجة إليه ليعيلها، أو ليشعرها بالأمان، أو ليعتني بها بل تحتاجه ليضيف فرحاً وإشراقاً على حياتها. إنها تحتاجه ليغنيها ويحييها.. وهذه الحاجة مختلفة، بل هي أهم ما في الحياة.

كان من المهم لها أن تتعلم الوقوف بمفردها والاستقلال والاكتفاء الذاتي.. ولكن كان من المهم أيضاً أن تتعلم كيف تعيش ضمن علاقات.. يجب أن تكون العلاقة مزيجاً من طعمين قويين عميقين.. لا أن يبتلع أحدهما الآخر، بل يضيف كل منهما ما ينقص، ليجعل منها شيئاً أفضل مما كان.

وهذا ما فعله كل منهما للآخر. لقد جعلا العلاقة أفضل وأقوى وأعمق. مزجا التطلعات ووجهات النظر، وشخصيتان قويتان مستقلتان في ينبوع مشع حي للحياة.

ترى هل يمكن لخلاف واحد وسوء تفاهم أن يغيّر هذا كله؟ لا.. لا يمكنه ذلك إذا كان ما بينهما وطيداً لا وهماً.

فجأة أحست بالثقة.. فلا شك أن تاليس سيتخطى مرحلة الغضب والجرح، وسينظر إلى الأمر من وجهة نظرها وعندها سيتفهم ويتصل بها ليشرح لها من هي مارلين غاربك، وعندها سيضحكان على علاقة نسجتها مخيلتها المتطرفة، وسيفسر لها قصة صاحبة تلك الصورة كما فسّر لها أمر زازا كاندل.

لكن.. كان هناك مشكلة واحدة فقد مرّ أسبوع ولم يتصل تاليس.. وكانت ثقتها بعودته في كل يوم تموت.

ذهبت مرة أخرى إلى «شاطئهما» ولكن أرعبها ميلها إلى تعذيب نفسها. مع ذلك لم تستطع منع نفسها.

كانت تعود إلى المنزل عبر الممر الضيق مطأطئة الرأس تاركة قلبها على الشاطىء، وفي الماضي...

حين رفعت الآن رأسها كادت أنفاسها تُصعق. أجل.. هناك شيء رمادي يظهر فوق السياج الشجري حول منزلها! أيمكن هذا؟ حثّت الخطى وهي تخشى أن تتعلق بآمال واهية لكن ظنها كان في محله. فهذا هو «الفان»! وهرعت راكضة والضحكة تومض في داخلها، والحياة تتحرك في روحها الميتة.

صاحت مقطوعة الأنفاس من الردهة:

ـ تاليس!

لا جواب. ولكنها سمعته يتحرك في غرفته.. ارتقت السلم درجتين درجتين، ودخلت الغرفة بدون أن تطرق الباب، وبدون أن تهتم بما يبدو على وجهها من سعادة.

أحست لبرهة بالحيرة، ثم انطفأت بهجتها كما تنطفىء الألعاب النارية التي يبللها المطر.

عاودها الإحساس الساحق بالإحباط أكثر من ذي قبل، فقد

www.elromancia.com

كانت قبل الآن تأمل بأن هناك فرصة قد تبخرت.. أما الآن.. وهي تراقبه، يفكك معداته أيقنت أن لا أمل أو فرصة لها مع تاليس واند. إنه يوضب أغراضه للرحيل، وهذا ما يكاد يحطم قلبها.

ارتمت على السرير جالسة. لم يعترف حتى بوجودها. كان يدير ظهره لها ولكنها لاحظت أنه يربط معداته بنشاط ممزوج بغضب. تحركت عيناها إلى طاولة الزينة فإذا الصورة ما تزال هناك، تبتسم تلك الابتسامة الغريبة التي تشبه ابتسامة «الموناليزا».

قالت بصوت منخفض، وكانت الكلمات تخرج بجهد:

ـ إذن.. لقد انتهى الأمر.

توقف «المفك» عن الحركة وأصبح تاليس دون حراك. وقع «المفك» من يد لا حياة فيها.. وقال مؤكداً، بلهجة لا رنين فيها:

ـ أجل.. انتهى.

وقفت.. كان واضحاً من انحناء كتفيه ومن تهدل رأسه بأن هذه الكلمات كانت مؤلمة له. ربما تكون هذه الصورة مصدر ارتياح لها في أواخر أيامها! فحينما ستتذكر هذه اللحظة وهذا الأسبوع ستذكر أيضاً أن الموقف آلمه.

اتجهت نحو الباب، تقاوم تهوراً يكاد يدفعها إلى أن تركع عند قدميه متوسلة لتشرح له سبب غيرتها، ولتسأله عما حدث وعما دعاه للذهاب. ولتسأله أيضاً لم لم يعطها، أو يعطيهما معاً فرصة أخرى.. لكنها أرادت أن تحافظ على هذا الجزء البسيط من كرامتها. لن تتوسله ليبقى كما أنها لا تضمن بأن تخرج منها كلمات التوسل فقط بل قد يخرج عويلاً من اليأس الصرف والبؤس

وكأنها حيوان علق في الفخ، وهي فعلاً عالقه في فخ من نسج قلبها الخائن.

كانت يدها على مقبض الباب حين أوقفها صوت تحطم زجاج.. التفتت ببطء.. إن تاليس يواجهها الآن ولكن بدون أن ينظر إليها. كان ينظر إلى الأرض، والغضب في كل خط من خطوط وجهه.

استدار بصرها إلى طاولة الزينة، وكأنها لا تستطيع أن تصدق ما رأته على الأرض.. لكن.. لا.. المكان حيث كانت الصورة فيه فارغ. عادت عيناها إلى الأرض فإذا الصورة مقلوبة على وجهها وسط قطع الزجاج المكسورة.

نظرت ببطء إلى تاليس، وقد تلاشى غضبها، ليحل مكانه يأس عميق لم تستطع منعه عن نفسها.. إنها تحبه، ولا تستطيع الهرب من ألم حبه. إنها تحبه لذا كان يلح عليها رمز من الصدق والأمانة لمواساته.

تقدمت إليه، فحضنته بقوة ووضعت رأسها على صدره. وظل هو للحظات بدون حراك بين ذراعيها.. ثم ارتجف ارتجافاً هائلاً وأطبق ذراعيه حولها بيأس، وكأنه يحتاج إلى دفئها، يحتاج إلى الإحساس بتدفق دمها الحي في عروقها.

أحست بالرجفات تهزه، ثم عندما أحست بدموعه تغسل عنقها أجهشت بالبكاء وأصبح ألمه الغامض ألمها يغمرها بالحزن.

قال هامساً: «لقد ماتت، جورجينا».

كان صوته مخنوقاً بحيث لم تفهمه في البداية.. ثم فهمت: تلك الشابة الصغيرة في الصورة ماتت..

تابع يهمس بعجز:

ـ فعلت ما استطعت فعله.. ومع ذلك ماتت، جورجينا..

لقد انتهى الأمر. انتهى الأمر.

* * *

١٠ ـ الدموع الأخيرة

بعد لحظة، كادت لن تنتهي، ارتدّ عنها تاليس وقال مديراً ظهره لها:

ـ جورجينا.. أمهليني بضع دقائق أقضيها مع نفسي.

كان خجله الرجولي من كشف مشاعره علناً، واضحاً في ارتباك قسمات وجهه.. وأكمل:

ـ سأنزل إلى تحت بعد دقائق لنتحدث.

ترددت:

ـ حسناً.. تاليس.. الاعتراف بأن الحياة مؤلمة يتطلب رجلاً.. الأولاد وحدهم يهربون من الدموع.

نظر إليها بتجهم ثم ابتسم ابتسامة متألمة، وقال بهدوء هامس:

ـ شكراً.

ثم استدار إلى النافذة مرة أخرى.

كانت تصنع القهوة، وتسخّن البسكويت حين انضم إليها في المطبخ، وجلس في الزاوية المخصصة للفطور. وضعت أمامه بصمت الإبريق وكوبين، وطبقاً من البسكويت الساخن، ثم جلست في مواجهته تنظر إلى وجهه المتعب بإشفاق.. لاحظت

www.elromancia.com

شدة تعبه، فالظلال السوداء تحدق بعينيه، ولحيته النامية تبرز خدين غائرين سوداوين. لكن، في تعابير وجهه هدوءاً لم تره من قبل.

قال معتذراً بهدوء:

ـ آسف لأنني عرضتك لكل هذا.. لقد مرّ عليّ أسبوع قاسٍ.

أسرت عيناه عينيها، ثم امتدت يده تسعى إلى يدها، تنهد راضياً حين امتدت يدها تقابل يده، ثم احتضن يدها الصغيرة في راحة يده الكبيرة بثبات.. وقال يعترف متلعثماً:

ـ أردت الاتصال بك مئات المرات هذا الأسبوع. كنت بحاجة إليك، بحاجة إلى سماع صوتك.. لكنني لم أجد أنني أملك القدرة على الكلام.. كنت خائفاً إن بدأت بالكلام أن يخرج الغضب والارتباك والتشوش الذي كنت أحس به صراخاً. وهذا لن يكون إيضاحاً لك، لأنك لا تعرفين ما يجري عندي... هي لم تتجاوز السادسة عشرة جورجينا.

تهدج صوته وترقرقت عيناه بالدموع ولكنها لم تشعر بالغضب أو الذعر. فقد فهمت من نبرة صوته أن كل ما قد افترضته بشأن تلك الشابة ـ الملاك، في الصورة كان استنتاجاً خاطئاً. وها هي الآن على وشك أن تعرف السر الكامن وراء حزن تينك العينين اللتين لم يكن لهما عمر. أضاءت الذكرى المحببة عينيه:

ـ التقيتها في المستشفى إثر إصابتي.. يا لها من طفلة! انها تعرف كل فرد وكل فريق، وكل لاعب في عالمنا. كانت تأتي يومياً مقتحمة غرفتي، تجلس على سريري وهي مرتدية روباً ورديا رائعاً. في البدء أردت أن أكون مؤدباً معها فقط لأن مشاكلي كانت تكفيني. كنت أتألم ألماً شديداً ولكنني في إحدى المراحل بتُّ

أتوق إلى زياراتها، وقد أنستني لفترة ألمي. المستشفيات أمكنة مملة كئيبة للناس ولكنها هي لم تتأثر بل كان من المتعذر كبحها، فقد كانت تتفجر حياة. كانت شعاعاً أنار أيامي السوداء.

صمت لحظات وكأنه يتصورها:

ـ على أي حال، بعد أسبوعين من الحديث عن كرة القدم وعن أبطالنا المشتركين، بدأنا نغوص في أمور شخصية.. عندها عرفت أنها لم تدخل المستشفى بسبب اللوز أو الزائدة، أو ما يدخل من أجله الأولاد المستشفى. وعرفت أنها مصابة بالسرطان.

تنهد:

ـ لم أشعر قط بمثل ذلك الغضب أو العجز في حياتي.. إلا ربما في الأسبوع الفائت. هذه الفتاة الجميلة الصغيرة على وشك الموت مع أنها لم تر شيئاً من الحياة.

صمت مجدداً فترة طويلة:

ـ على أي حال.. أظنني، وبسبب إحساسي بالعجز عقدت معها ذلك الاتفاق.. أترين.. لقد تحدثت إلى طبيبها بشأن حالتها، وقال إنها قد ترحل في أية لحظة، أو تبقى حية لسنوات.. سألته ما الذي قد يؤثر ويزيد من عمرها، فقال إنه لا يدري، ولكنه يعتقد أن العامل الوحيد المهم هو الأمل. وقال إن الأولاد يتعلقون بأحد الآمال كالوعد بشراء هرة أو الوعد بالقيام برحلة إلى ديزني لاند. هكذا، وفي أحد الأيام، فيما كانت تجلس على سريري، تتحدث كما تتحدث ابنة السادسة عشرة راحت تتكلم بجدية: متى ستعود إلى الملعب ثانية تاليس؟ فقلت لها إنني بدأت أذعن إلى عدم العودة إلى الملعب ثانية.. فصاحت: «أوه!» ثم نظرت إلي ولمسة مكر في عينيها الكبيرتين، وقالت إن كان

www.elromancia.com

رجل قوي مثلي سيستسلم، فلا بأس أن تستسلم هي أيضاً.. وكان أن عقدنا الاتفاق.. ووعدتها أن أعود إلى الملعب، ووعدتني بالتمسك بالحياة حتى تراني ألعب.

تنهد: «وابتداء من ذلك اليوم زحف إلى رأسي ذاك الجنون. كنت أعرف أن الفكرة مجنونة، لكنني لم أستطع منع نفسي، لأنني آمنت بأنني أعقد الصفقة مع القدر، وأنني إذا تمكنت من اللعب ثانية فقد تظل على قيد الحياة. كان هذا يمثل لي حياتي كلها جورجينا. لقد واجهت تحديات هائلة وربحت، وهكذا اندفعت أبحث عن القواعد، عن مخطط اللعب ليساعدني هذا في الانتصار على الموت... وما فائدة مجدي إن لم أستطع إنقاذ طفلة صغيرة؟ في البداية، ظننت أنني إنما أعطيها أملاً للتمسك بالحياة. كانت فعلاً مريضة يوم التقينا في المرة الأولى ولكنها حين استعادت حيويتها بدأت أصدق... أصدق أنني المسؤول عن تعافيها... وكان أن توجهت إلى هنا وليس في نيتي إلا التمرين لأستعيد عافية ساقي فأقدر على اللعب من جديد من أجل مارلين. ثم اتصلت بي نيكول، أمها تخبرني أنها تنهار وكدت أجن من عقدة الذنب. كنت أمضي أيامي معك متراجعاً عن قراري.. حتى بت غير واثق من قدرتي على اللعب ثانية، بل كنت غير واثق من قدرتي على العودة. أحسست أن أوقاتي هنا أروع من أن أفقدها، وأردت البحث عن حياة جديدة».

لم يكن لدى جورجينا، التي راح قلبها يقفز بين أضلعها، شك في أن تفكيره بحياة جديدة يشملها.. وتابع بصوت منخفض:

ـ لكنني كنت مديناً لها أولاً، فقبل أن أفكر ملياً عقدت

صفقة، وأخذتها على محمل الجد.. لكني خسرت، فمقارعة الموت ليست كمقارعة في لعبة كرة القدم.. ما كان أشد إيلامي جورجينا.. فللمرة الأولى في حياتي أجدني عاجزاً عن إنجاز ما عزمت النية عليه، وكانت المرة الأولى التي أجد فيها شيئاً على هذه الأهمية.

قالت بنعومة، وكلها فخر وفرح أمام صاحب هذا القلب العملاق:

ـ أوه تاليس.. ألا ترى أن الأمر لم يعد مهماً؟ فلا يمكن لأحد أن يخسر أو يربح أمام القدر.. أنت فقط تجاريه.. وكل ما هو مهم أنكما تعارفتما، وأنا واثقة أن مارلين كانت سعيدة جداً بمعرفتك وكانت أسعد لأنها عرفت مدى اهتمامك بها.

ـ أريدك أن تفهمي هذا عن مارلين: كانت تعطي دائماً أكثر مما تأخذ، وكان همها الأوحد حتى النهاية مساعدة الجميع.. كانت تحتضر حين قالت: «تاليس، لولاي لما التقيت بجورجينا.. أليس كذلك؟» وكان هذا صحيحاً. ما كنت لأبحث عن مكان أهرب إليه من الصحافة، لولا قسمي المقدس لها. ثم ابتسمت وقالت: «سأكون قد رحلت، لكن أتظن أن كل ما هو طيب من ذكراي سيرحل معي.. تاليس؟ أتعتقد أن الفرح والحب سيستمر عبرك وعبر جورجينا»؟

مسح بلطف الدموع التي تساقطت بصمت على وجه جورجينا وتابع:

ـ قلت لها: أجل.. أعتقد هذا.. فما رأيك جورجينا؟

هزت رأسها مصعوقة، إنها تتذكر ذلك الغموض في الفتاة، كما تتذكر نظرة الحكمة والسكون وهي نظرة تستطيع فهمها، لكنها

الآن تعرف ماذا كانت.. إنها الحب.. الحب الخالص.. أجل.. أفضل جزء مما كان لمارلين غاربك سيظل في الحياة.

وقف تاليس، فوقفت معه تندفع للبكاء بين ذراعيه. لكن تحولت الدموع من الحزن على فتاة لا تعرفها ولن تراها إلى دموع فرح.

كانا مستلقيين جنباً إلى جنب على ضفتهما:

ـ حسناً.. متى ستتزوج؟

حاولت جهدها لتبدو رزينة:

ـ تاليس واند! هذا طلب يد رديء لا يحمل الحب أبداً.

أغمض عينيه:

ـ كنت أراقب الماء فقط.. لا أريد أن أرمي قلبي على أقدامك، فتدوسي عليه. أعني.. ربما تظنين أن الأمر جنون، فنحن لم نتعارف منذ وقت طويل. ربما أنا وحدي أشعر بهذا الحب الخاص.

تنهد متصنعاً الدراما وتابع:

ـ ربما كنت تتلاعبين بقلبي! ما أدراني؟

سحبت يدها من يده لتمسح الخصل الفضية عن عينيه.. هذه الحركة الحميمة الصغيرة أرسلت قشعريرة عجيبة فيها فراحت تتأمل وجهه بحنان. راحت الابتسامات الجانبية، شيئاً فشيئاً تتسلل عبر جدار حزنه.. والآن، بعد ثلاثة أسابيع، بدا أنه قد استعاد روعه من ذاك الحزن.

كان قد فكك معداته بهدوء وأخذها قطعة قطعة إلى القبو. ثم رغم صمته وحزنه أمضى وقتاً هادئاً.

كانت جورجينا ما تزال مذهولة من السهولة التي انسجم فيها

مع حياتها.. لقد عشقت في ما مضى وحدتها وبئست من إيجاد زوج يتحمل فوضويتها أو يفهم حاجتها إلى الهدوء والانزواء بمفردها. لكنها الآن وهي تتشاطر هذه الحياة مع تاليس تحسّ بالروعة والفرح.

عملا معاً في الغرفة العليا خلال الأسبوعين المنصرمين. كان يساعدها ويحميها. تصفحا المجلات واستقيا منها المعلومات وتجاذبا الأحاديث بشأن مختلف الآراء، كان الحديث بينهما دائماً مثيراً ملؤه الضحك والراحة والهدوء.

طفقت الأيام تأخذ شكلاً محدداً. كان تاليس يركض في الصباح الباكر وكان هذا هو التمرين الوحيد الذي يمارسه وقد شرح لها دوافعه التي لم يكن لها علاقة بالكرة بل بالإحساس بالصحة. كان يحب الرياضة كما يحب بعض الناس الاعتناء بالحديقة أو لعب الورق، وكما تحب هي إصلاح منزلها القديم. لكن حب الرياضة هذا كان حباً خاصاً لذا لم يحاول إقناعها بمشاركته.. وهذا ما أراح قلبها.

حين كان ينهي جولة من الركض كان يعود إلى المنزل ليحضر الفطور، ثم يوقظها لتنضم إليه.. وكانا ما دام المنزل بارداً في الصباح يعملان في العليّة.. أما عندما يشتد الحر فكانا يتوجهان إلى البحيرة وهناك كانا يطهيان الطعام، وأما في المساء فكانا يصحبان سنوكل للقيام بنزهة وينهيان يومهما بالجلوس معاً على الأريكة والإصغاء إلى الموسيقى.

شعرت وهو يطلب يدها للزواج الآن بسعادة غامرة. إنه يطلب منها أن تشاركه حياته كلها إنه يسألها الاتحاد الكلي إنه يريدها أن تستيقظ كل صباح لتكون في دائرة ذراعيه، يريدها أن تحبه وأن

www.elromancia.com

تنجب له الأطفال.. أحست بخفة في رأسها تزقزق كما تزقزق المياه الغازية في الكوب.

أعاد تاليس فتح عينيه.. وقال لها بحدة:

ـ دعك من الأحلام وأجيبي عن سؤالي، أيتها الخبيثة!

تنهدت بسعادة سماوية:

ـ لا يمكن أن أتزوج شخصاً ينعتني بالخبيثة.

تنهد أيضاً ثم عاد يغمض عينيه، فكبحت ضحكتها، مع أنها لم تستطع فعل شيء حيال الابتسامة التي تلاعبت بشفتيها.. كان وجهه مسترخياً كل الاسترخاء بحيث قد يغفو بسرعة، تكورت على جانبها تشعر بالأمان وهمست في أذنه:

ـ أعتقد أن هذا يدعو إلى مقاييس أخرى.

قبل أن تتمكن من الابتعاد وجدت نفسها ترتفع بين يدين قويتين، حملتاها نحو المياه. أكمل المسير غاضاً النظر عن صراخها متجاهلاً محاولاتها الجاهدة للخلاص من قبضته الفولاذية.

ـ حسناً.. ما ردك؟

كانت عيناه الضاحكتان تطالبانها بأن تكون له إلى الأبد..

سألته بصوت خشن:

ـ أليس في روحك الفظة ذرة من الرومانسية؟ أعني ألا يمكنك أن تجثو أمامي على ركبة واحدة؟

سرعان ما أطاعها فجثا على ركبته ولكنه لم ينسى أن يغرقها معه.

ـ ارفعني إلى فوق! هذه المياه اللعينة باردة! تاليس واند..

ـ أجيبي عن سؤالي أولاً.

انفجرت ضاحكة رغم محاولاتها الدائبة للبقاء رصينة:

ـ ما كان السؤال؟

ـ كان السؤال «ماذا يعني اسم جورجينا؟».

ضربته على صدره:

ـ أيها الخبيث! لم يكن هذا هو السؤال.. كان..

ـ أوه جورجينا.. الرد على هذا السؤال كان في عينيك طوال الوقت!

دفعت نفسها إلى صدره، وقد نسيت مقاومتها:

ـ أنت محق.. أحبك تاليس، بجوارحي كلها وبروحي.. لم أحسب قط أنني قد أشعر بمثل هذا الشعور تجاه أي كائن حي و..

طعنها بإصبعه في ضلوعها بخفة:

ـ اصمتي.. أنت تحاولين تغيير الموضوع. إن لم تخبريني الآن فوراً ما يعني اسمك أغرقتك أكثر.

أخفضها تحت الماء، فأخذت تبقبق بكلام غير مفهوم.

ـ لم أفهمك!

ـ حسناً.. حسناً! إنه جورجيا، كاسم تلك الولاية الأميركية!

ـ أحس أني مخدوع، لماذا لم ترغبي في شرح ذلك لي. إنه يناسبك ولكنني أرى فيه شيئاً من البراوي، هل أحب والداك سهول جورجيا الخضراء..

أخرجها من الماء ثم وضعها بلطف على الضفة، فأكملت:

ـ إنه في الواقع عالم الهنود الحمر الذي سحرهما، مع أنني أشك في أنهما يعرفان ولاية جورجيا، أو بحيرة جورجيا.. وطالما كرهت الاسم، فغيرته إلى جورجينا. كانت أمي مصممة

www.elromancia.com

على أن يكون كل أولادها مشهورين، وكانت تعتقد أن اسم العائلة «بارتون» اسم بسيط، لذلك أعطتنا أسماء ضخمة لا تنسى بسهولة فاسم لاري الأصلي ليوناردو، ونيوتن اسم معروف وأشكر الله لأن والدي تجنب تسجيل أسمائنا الأصلية.

يبدو أنه لاحظ أنها تهذر ولكنه انتظر بأناة حتى توقفت، ونظر إليها بعينين واسعتين. ولامس شفتيها بإصبعه.

ـ أظن أن اسمك رائع، والآن أيمكن أن نصمت لدقيقة؟

ولّى المزاح وحانت لحظة الحقيقة.. وها هي تحس بالتوتر.. لكنها أطرقت حين ركع تاليس بوقار أمامها، وأخذ يلثم يدها:

ـ جورجيا بارتون.. هل ترضين أن تكوني زوجتي؟

نظرت إليه، وقد أغرقت الشمس شعره الفضي الأطراف، وكتفيه البرونزيتين فارتشفت النظرة المطلة من عينيه هذه النظرة التي ستذكرها دائماً وتذكر معها هذه اللحظة الغالية.. وغشيت الدموع عينيها، واختنق صوتها.. فللمرة الأولى لا تشعر بالضيق من اسمها الحقيقي... أو لم يتفضل الكون عليها بأغلى هداياه.. هدية الحب؟

ـ أجل.

ضمها بين ذراعيه، وراحت شفتاه تلثمان شعرها الرطب، فأحست بالإثارة التي اعتادت على سريانها في عروقها.. وكان هذا العناق ختماً لاتفاقهما، تركهما معاً مخطوفي الأنفاس.

ـ جورجينا، أريد أن يكون منزلك قاعدتنا العائلية... فهل أنت على استعداد لتشاركيني إياه؟

ـ تاليس، منذ أن دخلت إلى عتبة منزلي، لم يعد هذا المنزل

لي وحدي بل أصبح لشخصين.

ـ ربما يصبح في يوم ما لثلاثة!

في البداية لم تفهم ما يعني، ثم ابتسمت له: «أجل».

طفل بنيّ العينين يزحف ويزقزق ويمد يديه الصغيرتين إلى مكان ما في تفكيرها..

عاد يسأل: وبعدها ربما أربعة؟

ـ ها.. هه..

ـ ما رأيك بخمسة؟

ـ طبعاً أنت تعني بمن فيهم سنوكل.

ـ طبعاً.. أنا لا أعني سنوكل.

ـ أوه.. إذن أعتقد أنك تجرب حظك كثيراً، تاليس.. فأنا امرأة عاملة.

ـ لا تظني أبداً أنني لم ألاحظ أنك تنظرين إلى المجلة بعين الحب.. جورجينا، أنا لا أتوقع منك التخلي عن شخصيتك لمجرد الزواج والبدء بتكوين عائلة.. أريد أن أشاركك في تأسيس عائلة.. أريد أن أكون موجوداً لأغيّر الحفاضات، ولأقرأ القصص، وأحضر الرضعات. ولهذا السبب لم أستطع التفكير في الزواج عندما كنت أمارس لعبة كرة القدم. وإن لم ننجح في رعايتهم نستأجر مربية أو مدبرة منزل، أو أي شيء نحتاج إليه، حسناً؟

ـ في هذه الحالة، ما رأيك بنصف دزينة؟

ـ أو دزينة حتى.

ـ تاليس!

ابتسم ابتسامة الذئب:

www.elromancia.com

ـ حسناً.. سأكون مؤدباً حينما يصل عدد أولادنا إلى نصف دزينة.

فجأة لاحظ كم استطالت الظلال فوق الماء، فمد يده إليها، وعادا إلى المنزل يداً بيد.

وقال بصوت يحاول أن يبدو داعماً، مع أنه بدا نافذ الصبر:

ـ أعتقد أن عليك تدبير أمر فستان الزفاف وإرسال دعوات وما شابه.

ـ لا.. لا أريد شيئاً من هذا، ولا أحتاج إليه.. لطالما ظننت أن حفلات الزفاف الكبيرة تشبه موقع مسرح في «برودواي».. لا.. سيكون للأمر معنى أكبر في نفسي فيما لو تم كل شيء بيننا فقط في المحكمة المحلية. سأخبر والدتي في وقت ما.

وضحكت ضحكة شيطانية.

ـ أتعرفين ما أنت مقدمة عليه؟ أعني، سيكون هناك دائماً مثيلات زازا كاندل، وسيعترض طريقنا أشخاص سيجدون من الصعوبة عدم محاولة استغلال اسمي لإصلاح حياتهم العملية الفاشلة. ويجب أن تبقي مستعدة لأسوأ الأمور جورجينا. في السنة الماضية نشروا أنني أب لطفل امرأة لم أرها قط. الأمر صعب جورجينا لأنه سيقتضي منك ثقة تفوق حدود البشر... وسيطول بنا الوقت قبل أن تنطفىء الأضواء حولي خاصة إذا...

تدخلت، تحاول مكافحة الذعر في صوتها: «خاصة إذا؟».

ماذا لو قرر العودة إلى الكرة؟ ماذا لو اضطرت لمشاركته اللعبة؟ ولكن كما تصاعد الخوف في نفسها تلاشى سريعاً فهي لم تعد خائفة، لأنها تثق به.. فإن أراد العودة إلى ممارسة كرة القدم فستشجعه.. إنه مستعد لدعمها في عملها وأقل ما يمكنها فعله هو

أن تبادله بالمثل، أن تدعمه في كل ما يحاول القيام به.. إنها تدين له ببداية جديدة.

سمعته يقول:

ـ طلب إليّ أن أكون المتحدث الرسمي باسم جمعية محاربة السرطان... وأردت تباحث الموضوع معك قبل أن أقبل، أترين، قد يعني هذا أسفاراً كثيرة لأنني سأشارك في مؤتمرات عدة وقد يعني هذا استغلال كثير من الوقت والجهد علماً أن عملي ذاك لن يكسبني شيئاً، مع أن المال ليس موضع اهتمامي. أريد فقط أن أعرف ما إن كنت ستحترمين قراري بالتطوع للعمل لسنة أو سنتين.

ـ أحترمك؟ تاليس، بل سأعبدك لو خصصت هذه المدة من حياتك لقضية كهذه.

نظر إليها والحنان والحب في عينيه:

ـ حقاً؟ أوه جورجينا، لا يمكنك معرفة ما يعني هذا لي.

ـ لأنه مهم لي أيضاً تاليس.

وفهمت مدى الحاجة إلى أن تثق به، فهو لم يستغل قط شهرته من أجل مكاسب شخصية وها هو الآن وبدون تردد سيعرض نفسه لعيون الناس القاسية والفضولية من أجل قضية يؤمن بها.

إنه رجل، لمحت من بعيد سقف منزلها الخشبي المثلث. منزلها لا.. بل منزله.. منزلهما الذي هو نُزل لاثنين فقط.

* * *